

رواية

## سيداتى المجنونة

إبراهيم طه شوكت

الطبعة الأولى  
الكتاب : سيدتى المجنونة  
المؤلف : إبراهيم طه شوكت  
تصنيف الكتاب : رواية  
تصميم إخراج : أحمد عبد الحليم  
المقاس ٢٠ × ١٤  
رقم الإيداع : ٢٠١٥ / ٢٠٤٥٣  
الترقيم الدولي : 8 - 120 - 776 - 977 - 978

## دار يسطرون



طباعة وتوزيع الكتب فى جميع أنحاء العالم  
المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة  
شارع الملك فيصل - الجيزة  
جمهورية مصر العربية  
٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢ - ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩

مدير الإنتاج : أحمد عبد الحليم  
رئيس مجلس الإدارة : عماد سالم  
بريد إلكترونى : [yastoron@gmail.com](mailto:yastoron@gmail.com)

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

## وحى القصة

كان منزلنا يقع فى شارع داير الناحية ... وشارع داير الناحية يخرق القرية من منتصفها , كما لو كان محيط دائرة , وقى مقابل منزلنا كان يقع منزل المجنونة . كانت أحيانا ماتكون هادئة مسالمة , وأحيانا كثيرة هائجة تثير المشاكل .. وكنت انظر اليها واتحسر على ما هى فيه ..... إن الجمال الذى يكسوها يجعل من ينظر اليها مصابا بالحسرة على هذا الجمال الذى كسا هذا الجسد , فقد كانت بيضاء البشرة , ناصعتها , خضراء العينين , ممشوقة القوام . ولهذا كان جمالها يطغى على ما سواه , ويشفع لها جنونها . كانت الحسرة دائما تنتابنى كلما شاهدتها , وتزداد عندما أراها هائجة , مما دفع فضولى أن أعرف قصتها وذات يوم سألت أمى :

- يا أمى .. هل ولدت المجنونة هكذا , أم أصابها الجنون عندما كبرت ؟

قالت أمى :

لا يا ولدى , لقد كانت أجمل وأعقل فتيات القرية , واكثرهن رجاحة عقل , وإنما أصابها ما أصابها من جنون وهى فتاة كبيرة فى ريعان الشباب

- وهل أتاها الجنون فجأة ؟

- أجل يا ولدى , لقد ألم بها نتيجة ما عانتها وكابدته من قسوة الحياة والظلم الذى وقع عليها ولم تستطع دفعه أو تقوى عليه

- هل لك يا أمى أن تقصى على قصتها ؟

- أجل يا ولدى سأقص عليك قصتها .

قصت أمى حكاية المجنونة , واختلطت أحداث القصة بخيالى فكانت . "سيدتى المجنونة " أو "الصفافة "

## المقدمة

ظلام .. ظلام ... ظلام فى ظلام

الظلام الدامس يلف القرية برداء أسود داكن ، فلم تكن الكهرباء قد أدخلت فى القرية بعد .. وعندما يبدأ النهار فى الإدبار يبدأ الليل فى إحتواء القرية بجناحيه المظلمين ويكاد السائر فى طرقاتها لا يرى يده ، فالطرق مظلمة لا ينيها سوى بعض القناديل الزجاجية المتناثرة فى الطرقات ، وكل قنديل به ” لمبة غاز نمرة خمسة ” لا تنير أكثر من مترين أو ثلاثة بضوء خافت باهت ، فقط تعطى الأمان للسيارة ، وهى لا تعلق إلا أمام منازل الموسرين أو من لهم بعض الشأن .

أضف إلى ما يعم القرية من الظلام ليلاً ، فإن الجهل أيضاً يغلفها ، فليس فى القرية سوى كتاب واحد ومدرسة إلزامية واحدة ، يقصدها بعض العشرات من الصبية الذين ينتهى تعليمهم بعدد سنوات الدراسة فى هذه المدرسة ولا يجنون منها علماً ، فكما دخلوها خرجوا منها .. يشذ منهم صبي أو اثنين أو ثلاثة بالكاد ، وهم من أبناء الموسرين يواصلون

تعليمهم فى أقرب مدينة للقرية يذهبون إليها سيراً على الأقدام ، أو على الدراجات ، وغالباً لا يستمرون فى الدراسة . ، أو ينتهى تعليمهم عند هذا الحد ... هؤلاء هم طبقة ” الأفندية ” الذين ينظر إليهم أهل القرية باحترام شديد ، ويلجأون إليهم فى ما يعن لهم من أمور تحتاج إلى الكتابة أو التدوين .

كما أن المذيع لم يكن منتشرأً بالقرية ، فقد كان فى أوائل ظهوره ، كما أنها لا تعرف شيئاً عن وسائل الإعلام المكتوبة من صحف ومجلات ، فنادرأً ما تصلها الصحف مع الزائرين للقرية من المدن .

والفتيات ليس لديهن أدنى فرصة للتعليم ، فإن أباءهن لا يحبذون ذهابهن إلى المدرسة ، ويعتبرون أن ذلك يفتح الباب لفساد البنات ، فمكانهن فى المنزل مع الأم ، أو فى الحقل مع الأب . وعمدة القرية لدية كشوف باسماء المواليد ، فاذا أرسل رسولاً منه يطلب من الأباء أن يرسلوا بناتهم إلى المدرسة ، فانهم يدعون وفاتهن ، وقد يقدمون رشوة للعمدة حتى يتغاضى عن طلب بناتهم للدراسة ، وحتى يعفيهم من الغرامة التى يدعى أنها سوف توقع عليهم ، إذا لم يرسلوا البنات للمدرسة .

فى هذا الجو الجاهلى عاشت القرية ، بعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها .. وحقاً أن للقرية عادات وتقاليد بالية جاهلة ، فرضها الجهل والتخلف إلا أن لها تقاليدها وأعرافها التى تنم عن

الأصالة والمروءة ، وشهامة أهل الريف ، والقيم الانسانية النبيلة المتأصلة فيهم من قديم الأزل ، والتي ورثوها جيلاً بعد جيل .  
ولما كانت القرية مجتمعاً صغيراً ، فان أهلها تحكمهم تلك العادات بشدة ، سواء كانت المتخلفة أو الكريمة ، فالقرية فى مجملها لا تتعدى بضعة آلاف من البشر، يعدون على أصابع اليد الواحدة ، مما يجعل أهلها جميعهم يعرفون بعضهم البعض ، ومما يجعل الجريمة شيئاً منكراً ، والفعل السئ مغضوباً عليه .  
والعمده هو الرجل الأول فى القرية ، الذى يهابه الجميع ، ويخضعون لأمره . ثم يليه فى الاهمية شيخ البلد وشيخ الغفر والغفراء ، أما ذوى الشأن فهم ما ذون القرية ، والمدرس الابتدائى ، وخطيب الجمعة ، ومن يقيم شعائر الصلاة ، واصحاب المهن التى ينظر اليها الفلاحون نظرة اكبار فهم الجزار والحلاق والبدال ، فهى مهن لا تشقى صاحبها بدنياً ، وانما تجعله يحيا بشئى من الرخاء إذا ما مقورن بباقى أهل القرية .

## الفصل الاول

فانوس زجاجى به ” لمبة غاز نمرة خمسة ” يتدلى أمام منزل ريفى , تحته مصطبة مستطيلة أمام عتبة الدار , والوقت بعد صلاة العشاء .. جلس الرجال الثلاث على المصطبة , الشيخ صالح صاحب الدار والحاج رجب وابنه محمود ضيفاً الشيخ صالح . قال رجب .

- أنت تعلم أن بيننا صداقة بلغت حد الأخوة , وجعلت من ابنى محمود ابناً لك ومن ابنتك نعايم ابنة لى

قال صالح :

- أعلم هذا , وأعلم أيضاً ما ترمى اليه بكلامك هذا

- وما رايك يا صالح ؟

- انت تعلم انى قدعاهدت المرحوم أخى على زواج ابنتى نعايم من ابنه مصباح منذ أن كانا صغيرين يلهوان .

- وهل هذا معقول ؟ تربطان طفلين صغيرين بعهد الزواج وهما طفلان صغيران لا يعيان من أمور الدنيا شيئاً ؟

- إن مصباح ليس له الآن سوى بعد وفاة أبيه وأمه , وأنا الآن عمه وأبوه , فهل يرضيك أن أتخلى عن وعدى ؟ وماذا يكون من شأنى تجاه ابن اخى؟ كيف أوجه وجهى وجهه ؟

نهض الحاج رجب واقفاً وقال مخاطباً أبنه :

- لا فائدة من الكلام . هيا بنا يا بنى

قال محمود وهو يهم بالوقوف .

- هل يسمح لى عمى صالح بسؤال ؟

- قل يا محمود .

- هل اخذت رأى نعايم فى مصباح ؟

- وهل هذا سؤال يا محمود ؟ منذ متى والفتيات لهن رأى ؟ الأمر أمرى والقرار قرارى , ومصباح ابن عمها وأحق بها من أى رجل اخر .

قال رجب :

- قلت لك يا ولدى لا فائدة من الكلام . هيا بنا

انصرف الرجلان يعلو وجهيهما الوجوم

فى داخل الدار كانت نعايم وأمها تسترقان السمع وتتابعان حوار الرجال . ارتمت نعايم فى حضن أمها باكية ,

وامها تربت عليها موسية قائلة :

- صبراً يا ابنتى , فان فرج الله قريب , لعل والدك يعدل عن عناده
- ظل الشيخ صالح فى مكانه لا يبدى حرا كما خرجت اليه زوجته ” روحية ” وجلست بجواره وقالت له :
- ان نعايم تتمتع بجمال فائق , ومصباح مسخ بشرى لاترضى به أقبح بنات القرية
- قلت لك إنه ابن عمها . والرجل لا يعيبه شكله , وإنما يعيبه طبعه وخلقه , ومصباح ميسور الحال وعلى خلق سوى .
- لا انكر ذلك , ولكنه دميم الشكل
- يكفى إنه رجل
- إنها وحيدتنا يا صالح , وكل ما يهمنا هو ان تكون سعيدة
- صدقيني يا قليلة العقل انها سوف تكون سعيدة مع مصباح
- كيف ذلك وهى لا تطيقه ؟
- ان العشرة تذيب الفوارق , وسوف تأنس مصباح بعد ذلك وسوف يشملها بالرعاية وحسن المعاملة
- شئ بعيد المنال

- هل سمعت عن فتاة تزوجت برجل تعرفه وتألفه قبل الزواج ؟
- ولكن أهل الفتاة يختارون لها الزوج المناسب
- وأنا اخترت مصباح .. كفى عن المجادلة ولا تعيديها
- قطبت الأم حاجبيها يائسة ، وأيقنت أنه لا فائدة من كلامها مع زوجها . وانحدرت دمعة على خديها ونهضت قائمة ، ودخلت الدار ، وقام صالح على إثرها داخلاً إلا أنه ما كاد يغلق الباب حتى سمع طرقاتاً على الباب . قال صالح
- من الطارق ؟

اجاب الطارق : انا مصباح

- فتح صالح الباب .. وسلم على مصباح ، وجلسا على المصطبة ، كان مصباح فى نحو الخامسة والعشرين من عمره ، ومتوسط الطول ، ممتلئ الجسم ، مستدير الوجه ، جاحظ العينين ، تتدلى شفته السفلى ، غليظ الصوت قال مصباح .
- قابلت الحاج رجب وابنه محمود قريباً من هنا ، وببدو أنهما كانا عندك
- أجل يا مصباح ، وقد كلمانى فى شأن نعيم ، فأخبرتتهما انها مخطوبة لك

- شكراً يا عمى

صاح صالح مخاطباً نعيم :

- أعدى لنا براداً من الشاي يا نعيم

قامت نعيم مكرهة لتعد الشاي , إلا أنها سمعت مصباح  
يخاطب عمه .

- لا داعى يا عمى , فأنا فى عجلة من أمرى ... فقط أردت أن اهديك  
تحية المساء وأنا مار أمام منزلكم . هل لك فى أمراً قضيه لك ؟

- شكراً يا بنى

انصرف مصباح واقفل صالح الباب بالملزاج , ودخل الدار  
فوجد ابنته مكومة فى ركن من الأركان , وقد وضعت رأسها  
فى حجرها , قال لها .

- لماذا انت هكذا ؟

رفعت نعيم رأسها فى ذل وانكسار ولم تجب , أردف هو قائلاً :

- الاتريدين مصباح زوجاً لك ؟

صممت الفتاة ولم ترد وأجابت الأم .

- أجل يا صالح , إنها لا تريده

وجه صالح كلامه الى ابنته :

- إنه ابن عمك وأحق بك من الغريب , وكان الأولى بك أن تفضيله عن غيره , كما أنه ميسور الحال ولن يهينك لأنى عمه , وستجدين معه راحتك وسعادتك .

قالت نعايم فى خشية من أبيها :

- ولكنه قبيح الشكل يا أبى

- أليس رجلاً ؟ إنه ككل الرجال , ولا يعيب الشكل رجلاً , وإنما يعيبه طبعه ' ومصباح كما تعلمين مؤدب وعلى خلق

- لست أنكر يا أبى ولكنى لا أستطيع أن أقبله شكلاً

- إن العشرة سوف تجعلك تتقبلينه , وتعتادين عليه وتألفيه ولا أريد الخوض فى هذا الحديث مرة أخرى .

ثم دخل صالح حجرته لينام , بينما احتضنت الأم ابنتها مواسية

\*\*\*

جلست نعايم مع صديقتها سعدية , تبثها همومها ...  
سعدية هى صديقتها المخلصة التى تجد فيها متنفساً لأحزانها  
ومستودعاً لأسرارها . قالت نعايم :

- أكاد أجن ياسعدية , فان الأيام تسرع الخطى , ويقترب ميعاد الزفاف

- قلبى معك يا أختاه .. أنا لا أعرف كيف يفكر ابوك . هل هذا معقول ؟
- حفته ان مصباح أبى عمى , وأولى بى من الغريب , ومفروض على أن أقبله وأفضله عن غيره بحكم صلة الدم , مهما كان شكله
- ولكنك ابنته الوحيدة , وكان يجب أن ينتقى لك الرجل المناسب
- هذا رأيه . ماذا افعل ياسعدية ؟ بالله عليك دلىنى ما هو الحل ؟
- لا أرى يا أختاه الا ان تتقبلى نصيبك , فأنا اذا نصحتك بالرفض فإن الرفض لن يجد شيئاً , كما أن مصباح ميسور الحال وعلى خلق
- وهل أفقد محمود ؟
- خير لك ان تقبلى واقعك وترضى به
- انت تعلمين مدى الحب الذى يربطنى بمحمود , وليس من اليسير أن أقبل زوجاً غيره
- ليس هناك حل اخر , فأنت تعلمين اننا معشر فتيات الريف لا نملك من أمرنا شيئاً , وإنما يقودنا اهلونا قيادة البهائم , وليس لنا إلا ان نطيع كما تطيع الحيوانات أصحابها .
- ألسنا بشراً ؟

- يلى , ولكننا عبيد أهلنا

فى ظهيرة معظم الأيام , تعد أم نعايم الغذاء لزوجها صالح ومن يكتريه ليعمل معه فى الحقل وتضعه ام نعايم فى " المشنة " حيث تحملها نعايم وتذهب بها الى الحقل , وكان يبعد عن المنزل مسافة كبيرة .. تسير نعايم فى طريق ترابى مسافة كبيرة ثم تقطع الطريق ترعة واسعة تصطف على جانبيها اشجار الصفاف الضخمة , حيث تتدلى فروعها تكاد تصل ماء الترعة , واحدى هذه الاشجار بجوار ساقية تتدلى فروعها بكثافة مكونة ما يشبه العش حيث كان محمود ينتظر فيه نعايم عند عودتها وعندما يراها ذاهبة الى أبيها حاملة المشنة ينهى ما بيده من عمل , حتى اذا ما لمحها عائدة عن بعد تسلل الى العش وانتظر حضورها .

ما ان تصل نعايم الى الحقل حتى تضع المشنة على الارض تحت شجرة التوت الضخمة , فيحضر ابوها ومن معه ويجلسون تحت الشجرة , وتفرغ نعايم ما بالمشنة من طعام , ويبدأ أبوها ومن معه فى تناول الغذاء , بينما هى تعد " الكانون " وذلك بوضع بعض قوالب الطوب اللبن على هيئة مربع ينقصه ضلع وتضع فيه بعض الأخشاب وقوالب الذرة الجافة , وتشعل فيها النار , فاذا ما أشتعلت النار فى الكانون

، وضعت كوباً كبيراً مملوءاً بالماء والشاي على النار ، حتى  
 اذا ما فرغ الاكلون من طعامهم يكون الشاي قد تم نضجه ،  
 فتصبه فى أكواب من الصاج وتناول كلاً منهم كوباً ، فاذا ما  
 اتموا شرابهم ومأكلهم قامت بجمع الاطباق والاكواب وغسلتها  
 من طلمبة بجوار الشجرة ووضعتها فى المشنة وحملتها على  
 رأسها وأنصرفت عائدة من حيث أتت .

وعندما تصل الى مكان التلاقى ، وفى داخل العش حيث  
 ينتظرها محمود تلقى عليه التحية وتجلس بجواره ، بعد أن  
 تضع المشنة على الارض . قال محمود :

- ما العمل يا نعائم ؟ إن ابك مصر على زواجك من مصباح
- ماذا أفعل يا محمود ؟ أنا أكاد أفقد عقلى
- ارفضى هذه الزيجة
- رفضت وبإصرار ، إلا أن أبى لم يغير رأيه . دلنى ماذا افعل ؟
- فى الحقيقة يا نعائم أن الأمر يحيرنى
- أنا بين نارين لا أريد الزواج من مصباح ، ولا أستطيع مخالفة  
 أبى والخروج عن طوعه
- وماذا يكون الأمر ؟ هلى أفقدك ؟

- انت تعلم مدى حبى لك , وأن حبك يسرى فى دى , ولكن ماذا أفعل وأنا كالطائر المكسور الجناح وغير قادر على الطيران ؟
- لو كان الامر بيدي لأ ذبتك فى كوب من الماء وشربتك حتى تصيرى كلك فى دى ولا يستطيع أحد انتزاعك منى
- يفعل الله ما يشاء
- أبوك لن يغير رأيه ولو انطبقت السماء على الأرض , هذا واضح من آخر لقاء به
- نرضى بقضاء الله
- وأفقدك ؟
- لو كان الهروب يسيراً لهربنا وتزوجنا , ولكن هذا الأمر يجلب العار لنا ولاهلنا مدى الدهر كما أن فيه هلاكنا كما أن هذا الامر لا نرضاه لنفسيانا
- طبعاً يا نعيم أنا لا أرضى أمراً يشين سمعتك
- دع الأمر لله .. هيا بنا فقد تأخرت عن ميعاد رجوعى

\*\*\*

عندما عادت نعيم كانت امها قد أعدت طعام الغذاء ودعتها لتناوله , أجابت نعيم بأنه لا رغبة لها فى الطعام . قالت أمها

- يا ابنتى إن عدم تناولك الطعام لن يغير من الأمر شيئاً ، وخير لكى أن تتناولى طعامك حتى لا تفقدى حياتك ،
  - ليتنى يا أمى أفقد حياتى وأستريح من هذا العذاب
- قالت الأم منزعة :

- لا يا ابنتى ، أبعد الله عنك الشر .. الصبر يا ابنتى أوصيك به ، ولكل شئ نهاية .
  - أنا أعرف نهايته يا أمى .. نهايته أن أكون زوجة لمصباح
- قالت الأم محاولة التخفيف عن ابنتها
- فى النهاية كلهم رجال ومتساوون
  - لا يا امى إن العسل غير البصل وكلاهما طعام
  - نرضى بقضاء الله ويفعل الله ما يشاء
  - له الامر من قبل ومن بعد

## الفصل الثانى

يجتمع الفلاحون كل ليلة فى سامر ، يتسامرون ما شاء لهم السمير ، وكل جهة فى القرية لها سامرها فهذا سامر الشمال وذاك سامر الجنوب وهكذا وكل سامر له رواده ومتحدثوه ، ويتميز كل سامر عن غيره بقدرة محدثه وبلاغته ووفرة حكاويه . كما يختص أحد الأشخاص بعمل الشاى وآخر بتوزيعه على الحاضرين فى أكواب من الصاج حيث لا مقاه فى القرية ولهذا يتشاركون فى جمع مقدار من المال يشترون به الشاى والسكر الذى يشربونه .

وفى سامر الشمال كان مصباح يختلف اليه ضمن رواده حيث يشاركهم شرب الشاى وسماع الحكاوى .

سأله جاره فى السامر :

- متى الدخلة يا مصباح ؟

رد عليه مصباح

- عندما يحدد عمى ميعادها

- وأنت .. اليس لك رأى ؟
- الرأى رأى عمى
- هل لعمك كل الرأى فى شئونك ؟
- أجل فهو عمى وأبى الذى فقدته .
- لك حق , وكل الحق , فأنت وارثه
- ليس هذا هو السبب , فأنا فى غنى عما يملكه
- ولكنه أراد بزواجك من ابنته أن يجمع ارضك مع أرضه
- قد يكون هذا صحيحاً
- بل هو رأيه
- أيا كان رأيه فانا أطيعه
- يا لك من بار بعمك
- وياله من عم صادق فى حب ابن أخيه
- كان مصباح - رغم دمامته - متمتعاً بقلب طيب وسعة فى الأفق , وكان معروفاً عنه أنه لا يقبل الأمر الخطأ ولا يستسيغ الخزعبلات التى يسمعها من الراوين

عجيب أمر مصباح , فعلى قدر ما ابتلى به من قبح فى الشكل حباه الله رجاحة عقل , فكأن الله عوضه عن قبح شكله سعة فى أفقه مع أنه لا يملك قدراً من التعليم

قال أحد الحاضرين وهو شيخ كبير

- انصتوا لنسمع الراوى , وليكن حديثه اليوم عن أولياء الله الصالحين والذين لهم أضرحة بالقرية , فنحن فى شوق لنعرف سيرتهم .

بدأ الراوى يحكى :

- سوف أقص عليكم قصص أولياء الله الصالحين الذين اقيمت لهم أضرحة احتراماً لهم واعترافاً بكراماتهم

قال أحد الحاضرين

- اتحفنا فنحن فى لهفة وشوق

قال الراوى

- كان " سيدى حسان " يقود حصانه , وتعرض الحصان لحادث بترفيه ذيله , فما كان من " سيدى حسان " إلا أن تناول الذيل ويصق عليه , ووضعه فى مكانه من الحصان فالتأم الذيل

صاح الحاضرون

- الله اكبر

تململ مصباح فى مجلسه غير مصدق لما قاله الراوى ،  
ومال على جاره وسأله هامساً : هل تصدق هذا الكلام ؟

رد جاره

- إنها كرامات أولياء الله الصالحين

سكت مصباح على مضض . استطرد الراوى .

- اما ” سيدى سعيد ” فكان عبداً عند آل عطاء الله يقوم على خدمة  
ما شيتهم والذهاب بها إلى الحقل والعودة . بها عند غروب الشمس  
وفى أحد الأعوام كان سيده وسيدته فى حج لبيت الله  
الحرام ، وهناك تاقت نفساهما الى ” صينية فتة ” وطبق من  
الملوخية الخضراء .. وبعد فترة وجدا أمامهما صينية الفتة  
وطبق الملوخية ” اما كيف وضعوا امامهما فهما لا يعرفان

صاح الحاضرون

- الله اكبر .. كيف حدث هذا

- الذى حدث يا إخوانى أ ن سيدى سعيد سمع كلامهما ..  
عندئذ قاطعه مصباح .

- إنهما فى السعودية وسيدى سعيد فى مصر . كيف سمع كلامهما

قال الراوى

- إنها يا بنى كرامة الأولياء

قال بعض الحاضرين

- اسكت يا مصباح ، فأنت لا تعرف كرامة أولياء الله الصالحين

سكت مصباح متبرماً بينما استطرد الراوى

- عندما سمع كلامهما كان فى الحقل ، ذهب إلى أهل المنزل

وأدعى أنه فوجئ بضيوف من أهله حلوا عليه ، وطلبوا منه

أن يطعمهم صينية فتة وطبقاً من الملوخية . فقام أهل المنزل

بعمل ما طلبه وأعطوه إياه .. وقد أرسل سيدى سعيد الصينة

والطبق إلى سيده وسيدته فى السعودية وعاد دون أن يراه أحد

هلل الحاضرين وكبروا .. ازداد تملل مصباح فى جلسته غير

أن جاره لكزه خفيفاً حتى لا يتكلم اعتراضاً على قول الراوى

قال أحد الحاضرين

زدنا فتح الله عليك

استطرد الراوى : عند ما كان يسأله أهل الدار عن الصينية

والطبق كان يقول أنه سوف يحضرهما لهن . ومرت الأيام

وعاد سيده وسيدته من حجهما . وكان معهما الطبق والصينية

، مما أصاب أهل الدار بالدهشة والذهول ، فقد عرف الجميع

كرامة سيدي سعيد مما جعلهم يقفون على خدمته وبعد وفاته  
أقاموا له ضريحه المعروف لكم

واستطرد الراوى

- اما حكاية ” سيدي يس أبو رمانه ” فهى تريكم لماذا أطلقوا  
عليه أبا رمانه , فقد كان جالساً وسط أحبائه ومريديه ومد  
يده وقطف رمانه من الجنة .

وهنا أنتفض مصباح واقفا وقال

- هذا هراء.. كيف يستطيع بشر أن يمد يده ليطول الجنة  
ويقطف منها رمانه ؟ إنه حدث لم يحدث لنبي , فكيف  
يحدث لبشر مهما علا قدره ؟

سرت همهما بين الحاضرين , ولم يستطع أحد أن يعلق  
على كلام مصباح , فقد وجدوا فيه عين العقل

وأنسحب مصباح تاركاً السامر , ولحق به أحد اصدقائه وقال له

- لماذا تركت السامر يا مصباح ؟

- لا أطيق أن أسمع هذه الخزعبلات فلسنا إلى هذه الدرجة من  
البلاهة .. كان خيراً له أن يحكى سيرة ابى زيد الهلالي أو  
عنترة بن شداد أو غيرها من القصص والأساطير التى نقبلها

على علتها ونعلم أنها أساطير

- يا لك من ذكى رغم شكلك القبيح

- ليس ذكاء يا أخى , لكن الذى يملك قليلاً من العقل لا يقبل  
مثل هذه الخرافات

\*\*\*

يأتى الشيخ محمدى مرتين عصاراً كل اسبوع , ليقراً القرآن .  
الكريم فى منزل صالح , تسحبه ابنته التى تبلغ من العمر مالا  
يزيد عن الستة عشر عاماً .. كلاهما أميل إلى الدمامة . اما الشيخ  
محمدى فأسمر اللون قصير القامة ويميل إلى البدانة , وابنته كالحة  
السواد وأميل الى النحافة وليس لها من مظاهر الأنثى شئ .  
واذا امعنت النظر إليهما , وجدت أن الشيخ محمدى كفيف  
البصر , رغم ان عينيه مفتوحتان , وابنته شبه كفيفة , وكأن  
عينيهما من الزجاج .. وترى البؤس يغلف الفتاة , وهى صامته  
دائماً , نادرة الحديث , تتأبط نصف سجادة صلاة , حتى  
إذا ما هم أبوها بالجلوس فى المكان المعتاد من المنزل ,  
اسرعت وفرشت نصف السجادة , حتى إذا ما فرغ ابوها من  
التلاوة قامت مسرعة تطوى السجادة , وتضعها تحت إبطها  
وتسحب أباهما خارجين ... إنها تفعل ذلك بطريقة آلية .

جلست نعيم وامها أمام الشيخ محمدى . وهو يتلو القرآن الكريم , ولما فرغ من التلاوة سألته ام نعيم:

- يا شيخنا , هل تجبر الفتاة على زواج لا تريده ؟

ادرك الشيخ ما ترمى إليه أم نعيم , فقد كان خبر زواج نعيم من مصباح وعدم رضاها عن هذا الزواج حديث القرية , فلو أجابها بعدم الجواز قد يعلم زوجها بفتواه فيمنعه من الحضور الى المنزل بعد ذلك , فحاول التخلص من الاجابة قائلاً :

- أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم

- ولكن الله ورسوله لا يقبلان الظلم يا شيخنا

اردف الشيخ محمدى قائلاً :

- ولا تقل لها اف ...

ادركت أم نعيم أنه لا يريد أن يفصح عن رأيه خوفاً من زوجها , وأدركت ايضاً أنه خشى أن تجعله وسيطاً يقنع زوجها بخطأ تمسكه بزواج ابنته بمن لا تريده , ولهذا آثر البعد عن المشاكل .

والفلاحون ينظرون الى مثل هؤلاء الناس على انهم ففقهاء فى الدين , ويأخذون رأيهم حجة , ودليلاً , مع ان رأيهم قد يكون صواباً وقد تكون خطأ ...

كانتا كالغريق الذى يبحث عن قشة قد تنجيه , مع علمه

انها لا تفيد

\*\*\*

جلست نعايم مع محمود فى عشمها تحت الصفافة .

قالت نعايم

- ان الوقت يجرى مسرعاً يا محمود , واقترب ميعاد الزفاف ما  
الحل دلنى ارجوك ؟

- لا أدرى , ولا أرى بارقة أمل ... انى مكبل اليدين ازاء اصرار  
ابيك على زواجك من مصباح

- قد لا القاك ثانية , افعل شيئاً , فقد اصبح الزواج واقعا لا محالة

- دلينى ماذ افعل ولن اتردد عن فعل ما تأمرين

اطرقت نعايم قليلاً ثم قالت :

- حقيقة لا يوجد حل , ويبدو أن الله لا يريد أن يجمعنا

- إن الذى يريد ألا يجمعنا هو أبوك

- آه يا محمود .. اليأس يقتلنى

- وهل تظنين أن اليأس لا يقتلنى أنا ايضاً ؟ انا اتعذب ضعف عذابك .

قامت نعايم والدمع يبيل وجهها وقالت :

- وداعاً يا محمود
- لا تقولى وداعاً فإن روحينا لا يمكن أن تفترقا ... قد يفترق جسدانا ولكن روحينا متحدتان الى الابد , مهما قست عليهما الاقدار .
- انصرفت نعايم الى دراها حزينة كاسفة البال , وجدت سعدية فى انتظارها . نظرت اليها سعدية ولمحت اثر الدمع فى عينيها . قالت لها :
- ما بك يا نعايم ؟
- اتسألينى ما بى ؟ إنك تعلمين ما أعانى
- سلمى أمرك إلى الله , وأرض بما قسمه لك حتى تستريحى وتهدأ نفسك .
- أنا راضية , ولكن غصباً وكرهاً , وليس طواعية .
- اننا لا نملك من امرنا شيئاً , والامر امر اهلنا ولا نملك الا ان نطيعهم ولا نعصاهم .. لهم الأمر وعلينا الطاعة .
- السننا بشراً ؟ الا نحس و نشعر كما يحس الرجال ويشعرون ؟
- هل لك أن تفعلنى شيئاً ؟

- لا استطيع .. لست بقادرة
- إذن فهذه حياتنا ولا بد أن تقبليها كما يريد أهلنا , وخير لك أن تطوعى نفسك على حياتك مع مصباح .
- ومحمود ؟
- ليس من نصيبك يا نعايم . أرض بقضاء الله
- ليس هذا قضاء الله يا سعدية . انه قضاء ابي
- الأمر سيان ويجب ان تقبله .

\*\*\*

بدأ الاستعداد للزواج , فقددنا موعد الزفاف . اشترى صالح ما يلزم شراءه من جهاز العروس , واشترت لها امها ما يلزمها من امورها , وجاءت ” أم زغلول الخياطة ” لتتفقد الأقمشة التى اشترتها أمها , وقامت بقياس أجزاء جسد نعايم .. ونعايم واجمة وكارهة , ووضعت الاقمشة فى ” سبت كبير ” وحملته على رأسها وانصرفت لتقوم بحياكة الملابس وأعادتها لنعايم قبل موعد الزفاف . أما مصباح فقد ذهب إلى ” الاسطى جاد الجزمجى ” واشترى نعلاً جديداً , ثم ذهب الى ” الاسطى ابراهيم الخياط ” حاملاً معه ما اشتراه من اقمشة ليحيك له جلبابين وقميصين وصديريين

اقترب موعد الزفاف واذا باتراب نعايم يجتمعن كل ليلة بعد العشاء أمام منزلها ، يغنين ويقرعن الطبل وهن ملتفات حولها وبجوارها سعدية وهى تشعر بما يعتمل فى صدرها من هم ، بينما هى شاردة الذهن ، كاسفة البال ، والفتيات ما ضيات فى الرقص والغناء على انغام الطبله ، اغنيات الافراح الشائعة او ما تجود به قرائههن فى مثل هذه المناسبات ..

بعد فترة تنصرف الفتيات ، وتخلو نعايم الى نفسها ، تبكى فى صمت ، والنار تاكل جسدها ، وعقلها يكاد يشت ، فهى لا تجد منفذاً للخروج من محنتها اما أمها فهى تشعر بما تعانيه ابنتها ، ولكنهما لا تملكان من أمرهما شيئاً ، فالرجل هو كل شئ فى مثل هذه المجتمعات ، وأمره نافذ ورايه قاطع ، ولا تملك الزوجة او الابنة من أمرهما شيئاً او حق الاعتراض ... هكذا جرى عرفهم وتقاليدهم .. حتى أن ابناء هم ، هم الذين يختارون لهم زوجاتهم إلا قليلاً منهم .

لم يبق على موعد الزفاف الا اياماً قلائل ، ولذا جاء ” المنجد ” وفرش حصيراً امام منزل صالح وافرغ أكياس القطن ، وقام بصنع مرتبتين ولحافين واربعة وسائد .

مر محمود على المنجد وهو يقوم بعمله فإنقبض قلبه ، وأدرك أن ميعاد زفاف نعايم على مصباح قد أصبح وشيكاً

وبالمقابل فإن اصدقاء مصباح بدأو يجتمعون كل ليلة امام منزله للسمر وترديد الأغانى ابتهاجاً بزواجه .. فمصباح رغم دمادمته محبوب من أصدقائه , فهو كريم ودود , ويقوم بمجاملتهم فى مناسباتهم ولهذا فهم يجتمعون لديه كل ليلة امام منزله وقد افترشوا الحصير تحت أنوار ” كلوب ” مثبت فى وتد فى حائط المنزل

ازف موعد الزفاف , حضرت عربات ” الكارو ” لتحمل جهاز العروس من منزل أبيها إلى منزل زوجها .. سارت العربات فى صف يتقدمه الرجال والشباب .. تحمل العربة الاولى الدولاب والثانية تحمل السرير النحاس الاسود , والكنبة الخشب اما الثالثة فتحمل المرتبتين واللحافين والوسائد وتحمل الرابعة الاوانى النحاسية وادوات الطبخ .. والفتيات يسرن خلف العربات حاملات على رؤسهن الاسبته التى تحوى ما بقى من ملابس وأشياء اخرى .. يزغردن ويغنين.

وصل الركب منزل مصباح , قام الشباب والفتيات بإفراغ حمولة العربات , وقامت أم العروس وصديقاتها بترتيب منزل الزوجية , بينما جلس الرجال امام المنزل يتناولون اكواب الشربات .

وفى ليلة الحنة جلست نعيم على حصير وسط الدار , وقد أسندت ظهرها إلى الحائط , ومدت ساقيهها , وجاءت ” أم سلامة

” وهى السيدة المتخصصة فى عمل الحناء ، وتحنية العرائس ، ووضعت وسادة تحت ساقى نعايم لترفعهما عن الأرض ، وقامت بتحنية العروس ، الكفين والقدمين بينما قامت ابنتها ” سيدة ” بجمع ” النقوط ” وهى تهلل ” شوبش يا أهل العروس و يا اهل العريس ”

اما مصباح فقد جلس هو الاخر وقد أسند ظهره الى الحائط ومد ساقية ، ووضع ” الاسطى عبدالحليم الحلاق ” وسادة تحت ساقيه وقام بتحنية قدميه وكفيه ، بينما ابنه شحاته يجمع ” النقوط ” وهو يصيح ويجلجل ” شوبش يا أهل العريس ، ويا احباب العريس ويا أصحاب العريس ... ” هكذا ظل يعد كل من له صلة بالعريس واقاربه ليعطيه المدعوون ” النقطة ” فيدسها فى جيبه

وكانت الليلة التالية هى ليلة الدخلة حيث ارتدى مصباح جلباباً جديداً تحته قميص وصدريرى جديدين ، وسار بصحبة بعض الشباب إلى بيت عمه ، وما ان وصل حتى صاحت الفتيات ” العريس وصل ” بينما انقبض قلب نعايم دخل مصباح منزل عمه حيث كانت نعايم جالسة على كرسى خشبى والفتيات يحطنها ، وهن يزغردن ويغنين ويصفقن .. توجه الى نعايم وتناول يدها .. كان المفروض ان تمد هى

يدها ليتناولها ، ولكن يدها لم تطاوعها .. قامت معه متثاقلة  
وخرجت من الدار وسط صاحباتها من البنات واصحابه  
من الشباب ، وسار الركب تجاه منزل مصباح ، بينما كان  
رجلان يحملان عمودين من الخشب يتصلان ببعضهما بلوح  
خشبي متين يتوسطه ” كلوب ” يتدلى فوق مصباح وعروسه .  
كانت الفتاة سعدية تحمل صينية صغيرة عليها ” حلة ”  
بها عشاء العروسين ، وهو عبارة عن دجاجة محمرة بالسمن  
وزوج من الحمام المحشى وقليل من الأرز

كان بعض الشباب يتندرون على مصباح الذى يسير بجوار  
أجمل بنات القرية ، وهو اقبح الفتيان شكلاً ، وكان كثير منهم  
يحسدونه على زواجه من نعيم ، اما الفتيات فكن يضحكن  
ساخرات تملؤهن الحسرة على نصيب نعيم من الزواج .

وصل الركب الى منزل مصباح ، وتوقف الجميع ... دخل  
مصباح داره ممسكاً بيد نعيم ، وقد دخلت معها أمها وقلّة  
من النسوة ، وسعدية حاملة ” صينية العشاء ” بينما توقف  
الباقيون امام المنزل يتناولون اكواب الشربات . خرجت ام  
نعيم تحمل المحارم وهى ملطخة بالدم مما يعنى ان ابنتها  
عفيفة شريفة لم يمسسها رجل فإذا بالفتيات يزغردن ويغنين

- انظرو دم الفلاحة احمر مثل التفاحة

وانصرفن متوجهات الى منزل صالح . بعد برهة قال الأب :

- نشاطركم افراحكم ونشكر لكم مشاركتكم لنا .

وبداً يصافح المدعوين كان هذا إيذاناً بأنتهاء العرس .

انصرف المدعوون . انزلت سعدية صنية العشاء وقال الاب  
مخاطباً زوجته وسعدية

- هيا بنا نترك العروسين حتى يستريحا

احتضنت سعدية نعايم وقبلتها وهى تبكى .. لم يكن

بكاؤها فرحاً بزواج نعايم ، وانما كان حزناً عليها ، فهى تعلم

مدى حبها لمحمود . وما تعانيه جراء هذا الحب ، وحرمانها

منه وانصرف الاب صاحباً زوجته وسعدية . قال الاب موجهاً

كلامه لسعدية وهما فى الطريق عائدين :

- شكراً لك يا ابنتى ، ان شاء الله سوف نرد لك الجميل يوم زواجك

قالت سعدية

- نعايم اختى وليست صديقتى

عندما عاد صالح وزوجته وسعدية إلى المنزل وجدوا الفتيات

امام المنزل وهن يلوحن بالمحارم يميناً وشمالاً ثم اعطين

المحارم لام نعايم وانصرفن .

عود الى محمود , فقد بات ليلته فى عذاب يؤرقه وعندما  
ابصر نعايم بصحبة مصباح وهى ذاهبة الى منزل زوجها لم  
يحتمل المشهد , فانفجر باكياً ودخل داره وارتمى فى فراشه ,  
ينتقلب كما لو كان فى الجحيم .

صارت نعايم وحيدة مع مصباح , نظر إليها فوجدها باكية  
قال لها :

- لقد ملأت البيت نوراً فما يبكيك ؟

صمتت نعايم ولم ترد .. قال مصباح وقد ظن إنها تبكى  
لفراق اهلها

- كل فتاة مصيرها مفارقة أهلها إلى بيت زوجها , وهذا الشعور  
الذى تحسبه هو شعور كل فتاة فى أول ايام زواجها ولكن  
اعلمى انك ابنة عمى قبل أن تكونى زوجتى , وراحتك  
وسعادتك هى كل ما يهمنى ولن تجدى منى إلا كل خير  
تأثرت نعايم بقول مصباح .. قالت

- انك طيب القلب يا مصباح وعلى خلق واصبحت انا الان  
زوجتك لك الأمر وعلى الطاعة .

- انا اعلم تماما ان شكلى قبيح , ولكن ما ذنبى فى هذا ؟ أن الله هو الذى خلقنى هكذا , وانا شاكر لربى وراض بذلك أما قلبى فهو طيب ويملؤه حب الناس ... هكذا عوضنى الله بقلبى عن شكلى الدميم فالانسان لا يملك كل شئ .. كان يمكن أن اكون وسيماً وذو علة ولكنى والحمد لله سليم البدن وذو قوة .. دعينا من هذا وهيا بنا لتتناول عشاء نا

- ليست لى رغبة فى الطعام

- انك لم تتناولى طعاما طوال اليوم , هكذا مؤكد , وأنا لن أكل الا إذا اكلت معى .. هل يرضيكى جوعى ؟

لم ترد نعائم وإنما اقبلت على الطعام فى تناقل

\*\*\*

فى الصباح كانت نعائم سيدة المنزل , وزوجة شرعية لمصباح وكان سعيداً رغم ملاحظه من سحابة حزن على وجه زوجته ولكنه أقنع نفسه انها حزينه لفراق اهلها .

ارتدى مصباح جلباباً جديداً تحتة القميص الجديد والصديرى الجديد ووضع على كتفيه ” لاسه ” حرير بيضاء وذهب إلى منزل عمه ليقدم التحية لحميه وحماته , كعادة اهل القرية ثم عاد إلى منزله

كان فى سيره ذهابا وايابا يقابله من يقابله من أهل القرية  
فيهنئونه بالزواج , بعضهم جاد فى التهنئة وبعضهم ساخر  
.. ولما كان وقت الضحى , حضرت صاحبات نعيم للتهنئة ..  
قابلتهن بوجه جامد لا ينم عن فرح او حزن وتضاحكت الفتيات  
محاولات التسرية عنها وكانت اكثرهن مداعبة لها هى سعيدة  
صاحبتهما المفضلة ... وبعد قليل حضر والد نعيم ووالدتها ,  
فانصرفت الفتيات حتى تختلى الام بابنتها , وجلس مصباح  
مع عمه فى مدخل الدار . بينما الام وابنتها داخل الدار .  
قالت الام :

- كيف حالك يا ابنتى ؟
- كما ترين يا امى وانا راضية بقدرى ونصيبى كل ما أرجوه أن  
يعيننى الله على ما أنا فيه
- حسناً قلت يا ابنتى , هذا قدرك ونصيبك , فأرض واحمد  
الله , والزمن يفعل بالانسان ما يشاء
- لا يا امى ليس هذا قدرى و نصيبى ولكنها إرادة ابى وعلى  
أن أقبلها ... ” ثم اردفت قائلة
- ” وقد قبلتها ”

كانت سعدية هى صديقة نعيم الصدوقة و كانت نعيم تبوح لها بمكنونات قلبها وكانت سعدية تواسيها وتهون عليها ما بها من حزن .. لقد كانت تشعر بما تعانيه وتكابه فهى بين شقى الرحى , حبها لمحمود , وعدم قبولها لمصباح كزوج ولهذا كانت سعدية دائمة التواجد لدى نعيم , وكانت سعدية على قدر كبير من الجمال , وذات عقل راجح , وقد استطاعت بالفعل ان تنزع كثيراً من الهموم عن قلب نعيم فى اليوم التالى ذهبت أم نعيم وسعدية إلى نعيم تحمل كل منهما صينية عليها فطير الصباحية وقدمتاه لنعيم

وفى اليوم السابع للدخلة ارسلت لها امها عشاء السبوع وهو عبارة عن دقيق وأرز وسكر . كانت هذه عادات اهل القرية مرت الايام ..... وذات يوم حملت نعيم على رأسها ” مشنة ” بها طعام الغداء لمصباح , وذهبت اليه فى حقله , وجدته جالسا تحت شجرة توت ضخمة على رأس حقله وبجوار الساقية , حيث ثور معلق بالساقية , ويدور لتمتلى ” القواديس ” بالماء ملقبة به فى حوض كبير يمر منه الماء من فتحة إلى قناة تخترق الارض لترويتها .  
رحب بها مصباح قائلاً : اهلاً يا نعيم ” وجلست بجواره

وأفرغت ما فى المشنة ” من طعام حتى اذا ما اتم مصباح طعامه وشرابه جمعت نعايم الاطباق واكواب الشاى . وغسلتها ثم حملت ” المشنة ” على رأسها راجعة من حيث أتت . كانت تتمنى أن تقابل محمود , مع ان الطريق الذى تسلكه مخالف للطريق الذى يقع فيه حقل محمود .

” كأن قلبها دليلها ” إذ فجأة وجدت محمود على رأس حقل وهو يطنبر من رافد صغير من الترعة الرئيسية « الطنبور هو اسطوانة كبيرة حلزونية من الداخل يقع أحد طرفيها فى الماء وعندما يدير الفلاح الطنبور عن طريق يد حديدية مثبتة فيه يرتفع الماء داخل الطنبور ليصب من الطرف الاخر فى حوض صغير به فتحة ليمر فيها الماء إلى فتاة تخترق الحقل » تسمرت نعايم فى مكانها ... راها محمود . توقف عن الطنبرة وقام مسرعاً وسلم عليها . قالت له

- ماذا جاء بك الى هنا ؟
- هذا حقل زوج اختى ؟ وهو مريض , وأنا أروى له أرضه
- كيف حالك يا محمود ؟
- الحمد لله ... أقاسى وأعانى وبى لوعة الفراق

- هكذا حالى , ويعلم الله ما بى يا محمود
- أنا لا أنام ' ولا يفارقنى طيفك , وأجعل همى كله فى العمل حتى أجد فيه سلوتى .
- وأنا لا أفتأ اذكرك فى صحوى ومنامى
- لك الله يا نعائم
- سوف انصرف حتى لا يرانا أحد فيظن الظنون
- فى رعاية الله وسلامته .

\*\*\*

كانت ام محمود تعرض عليه بعضاً من فتيات القرية بغية قبوله الزواج باحداهن , لكنه كان يرفض باصرار وكان والده يلح عليها ان تقنعه بالزواج , ولكنه كان لا يستجيب لها

## الفصل الثالث

مرت فترة من الزمن ونعائم تحاول أن تتقبل مصباح كزوج لها أو تطوع نفسها كزوجة له وتجاهد فى تحويل عواطفها تجاهه بالقبول ، وفى النهاية فشلت ، فلم تعد تطيق مصباح كزوج ورغم هذا كتمت ما تشعر به كابنة بارة بأبيها الذى ظلم عواطفها

كان طيف محمود يلازمها ليل نهار ، يعيش معها ولا يفارقها ، كانت تتخيل مصباح كأنه محمود ، لعل ذلك يكون معيناً لها على تحمل ما تعانيه حتى أنها كانت تخشى أن تخاطب مصباح على أنه محمود وهى ناسية ، ولهذا كانت تجاهد فى كبح عواطفها أمام مصباح وكانت سعيدة دائماً ما تزورها ، وتخفف عنها ما تحس به من آلام وفى آخر لقاء بها قالت لها نعائم .

- لقد فاض بى الكيل ولم أعد أستطع الحياة مع مصباح ..  
داينى ماذا أفعل يا سعدية ؟

- ليس أمامك سوى الصبر يا نعائم ، لعل فى طول وقت  
المعاشرة وحسن المعاملة ما يجعلك تتغيرين

- لم أعد أستطع وأصبح الأمر فوق طاقتي
- وماذا تنوين عمله ؟
- سوف أطلب الطلاق
- هل جننت هذا ليس بالأمر اليسير
- ليس لي خيار
- الطلاق بغيبض وكرهه يا نعايم .. إنه في قرابتنا كارثة
- أعلم أنه أبغض الحلال عند الله ، ولكن الله أباحه إذا استحالت العشرة .
- وبأى علة تطلبين الطلاق ؟ أتدعى أنه يعاملك بجفوة ؟
- لا يا سعدية ، إن مصباح رغم عدم حبه له .. إنسان طيب ويعاملنى معاملة حسنة ودائماً يخطب ودى
- اذن بماذا تبررين الطلاق ؟
- أبى والكل يعلمون أنى أجبرت على هذا الزواج ، وهذا سبب كاف
- وهل تعتقدين أن أباك سوف يطاوعك ويقرك على ذلك ؟
- سأتمسك برأى مهما حدث
- أن الأمر صعب يا نعام .. تريثى حتى لا تغضبى أباك

- أبى يعلم أنه أجبرنى على هذا الزواج
- ولكن أباك شديد المراس , صلب الرأى , ولن يقرك على رأيك
- فليحدث ما يحدث .
- أطرقت الفتاتان رأسيهما , وظلتا صامنتين برهة , ثم رفعت  
نعائم رأسها فجأة وسألت سعدية
- هل ترين محمود ؟
- أجل , فى بعض الاحيان
- وكيف حاله ؟
- إنه دائماً شارد الذهن , ولم يعد مرحاً كعادته
- الله معه
- هل أبلغه سلامك ؟
- قالت نعائم بحدة :
- لا يا سعدية .. اياك
- ولم لا يا نعائم ؟
- ليس هذا من حقى أو حقه , ولا تنسى أننى إمراة متزوجة
- وليس معنى عدم حبى لمصباح أن أمس حقوقه كزوج , وانت

تعلمين أن حبنا - أنا ومحمود - شريف وعفوف , فليظل  
هكذا حتى يقضى الله امرأً كان مفعولاً . ولعلمك يا سعدية لقد  
قابلت محمود

- متى ؟

- منذ فتره عند عودتى من الحقل لدى مصباح حيث كنت  
أحمل له غذاءه

- وأين كان ذلك ؟

- عند حقل زوج أخته , لقد كان يروى له أرضه نظراً لمرضه

- وتحادثتما ؟

- أجل ... بدالى شاحباً

- لقد أصبح فعلاً شاحباً شارد الذهن ولم يعد مرحاً كعادته

- أنا الآن مصرة على الطلاق

- لك الحق يا نعائم .. لكن لدى فكرة

- ما هى ؟

- انتظرى قليلاً .. مجرد فترة من الوقت قبل أن تطلبى الطلاق

- ولم ؟

- قد تهدأ نفسك يا نعيم
  - لن يتغير الامر
  - أرجوك يا نعيم .. فترة أخرى لن تضرك فى شئ
  - قلت لك أن الأمر لن يتغير
  - أرجوك .. اطيعينى ولن تخسرى شيئاً
  - اخسر راحتى
  - أضيفى الى ما احتملتيه فترة أخرى , ولتكن قصيرة
  - سمعاً يا سعدية مع أنى أؤكد لك أن شيئاً ما لن يتغير
- كانت سعدية تهدف من وراء ذلك أن تهدأ نعيم نفساً وقد  
تغير موقفها .. فربما أن الوقت إذا طال تعودت على مصباح  
كزوج , وقد تألفه , وقد يقترحها لمحمود .
- انصرفت سعدية مودعة نعيم , وظلت نعيم تفكر .. إن  
مصباح طيب القلب وعطوف . ورغم دمامته فهو محبوب من  
الغير , كما أنه مرح , ويعرف عن نفسه أنه دميم ودائماً  
يقول أنا اعرف أنى دميم , هكذا خلقنى الله , وأنا راض بذلك  
ولا أرغب غير ذلك حتى عندما كان خاطباً لنعيم , وقال له  
أحد أصدقائه وهو يمزح : أن نعيم خسارة فيك ” ضحك وقال

أنا أعرف ذلك ولكنى لست خسارة فيها ” وذلك لأنه ميسور الحال فقد ورث عن أبيه فداناً ونصف من الأرض ، الامر الذى جعله يعيش فى بحبوحة من العيش ، كما أنه يمتاز بالكرم ، ويمد يد المساعدة دائماً لمن يحتاج ، ولهذا كله كان محبوباً ، كما أنه ، أيضاً كان خفيف الظل ميالاً للمداعبة . إلا أن هذا كله لم يغير ما بقلب نعيم من نفور منه كزوج فهى كأنثى لا يستهويها مصباح ، كما أنه كان لا يستهوى اية فتاة من فتيات القرية .. رغم أن شباب القرية كانوا يحبونه لما فيه من صفات حسنة رغم دمامته .

كان منزل مصباح ثانى منزل فى الحارة ، أما المنزل الذى يسبقه ويقع على ناصية الحارة ، فهو منزل جابر الحلاق ، حيث يقع محل جابر الذى يعمل فيه بالحلاقة ، والمنزلان بحكم الجوار سطحهما متلاصقان . وكان جابر يعلم تماماً - مثل أهل البلدة - ما تعانيه نعيم ، فقد كان يسمع من شباب القرية عن قبولها مصباح زوجاً لها رغماً عنها ، فقط إرضاءً لأبيها. كان هذا الكلام يسمعه كثيراً من الرجال والشباب الذين يقصدونه للحلاقة .

كان جابر شاباً طويل القامة ، متين البنيان ، لا ينم وجهه عن وسامة أو دمامة .. ثقيل الظل ثثاراً سليط اللسان وكان متزوجاً

من ” مبروكة ” وهى امرأة قصيرة القامة ، تميل إلى البدانة ، حادة الصوت ، دائمة الشجار مع جابر ، الذى لم يكن يتورع عن ضربها ، ويبدو أنها كانت تجد لذة فى شجارها معه وضربه لها

لمح جابر نعايم على سطح منزلها تجمع الملابس الجافة بعد غسلها ، فأسرع إلى سطح داره المجاور لسطح دار مصباح ، وأشار إليها بالتحية .. لم ترد نعايم وإنما أسرعت بالأنصراف ، لم يتسرب اليأس إلى جابر ، بل أصر على أن يغازل نعايم ، وفى كل مرة كانت تشيح بوجهها وتنصرف ، الامر الذى زاده تعلقاً بها .

جلست نعايم وسط الدار يعصرها الفكر ، إنها لا تطيق مصباح وتكاد تنفجر ، وها هو جابر يغازلها .. هى لا تريد أن تعصى أباهها ولا أن تخون زوجها ، ولا أن تغضب ربها ... إذن لا بد من حل والا أصابها الجنون .. أخيراً قررت أن تطلب الطلاق من مصباح .

جاءت سعدية ، أفضت إليها نعايم بمحاولة جابر مغازلتها . قالت سعدية ، أن جابر ثقيل الظل حقاً ، كما أنه صفيق ولا يقدر حرمة الجار .

قالت نعايم .

- أنه بالقطع يعلم - كما يعلم غيره من أهل القرية - أنى لم أقبل مصباح زوجاً إلاخضوعاً لرغبة أبى ، وقد ظن أن هذا يبيح له مغازلتى

- الم أقل لك أنه صفيق ؟ لا تعيريه اهتماماً .
- دعينا من جابر وصفاقته , أنى قد عزمت على طلب الطلاق  
من مصباح
- أهذا قرارك النهائي ؟
- أجل , لقد لبيت رغبتك وانتظرت فترة من الزمن ولم يتغير  
شئ , بل ازددت إصراراً .
- لك ما تريدين , وأفعلى ماشئت ومعك الله

\*\*\*

حضر مصباح فى المساء والقى عليها التحية , فردت تحيته  
وقدمت له العشاء , ولما سألها من عدم تناولها الطعام معه  
قالت له : ليست لى رغبة فى الطعام  
بعد أن انتهى من طعامه قالت له :

- يا مصباح , أنت رجل طيب , وأنا لا أكرهك , ولكنى لا أحبك  
, هذا أمر ليس بيدى وقد حاولت كثير و لم استطع أن أطوع  
عواطفى نحوك
- وماذا يعنى هذا ؟
- أرجوك أن تطلقنى

وجم مصباح وبهت .. صمت قليلاً ثم قال

- لا يا نعايم , أنت تطلبين المستحيل
- أرجوك يا مصباح .. أرجوك , أنت ابن عمى قبل أن تكون زوجى , وراحتى تهلك ألم تقل لى ذلك ؟
- سكت مصباح ولم يرد , وإنما خرج من الدار مسرعاً وتوجه من فوره إلى منزل عمه وأخبره بما قالت نعايم , وكانت أمها حاضرة . قال صالح محاولاً تخفيف قول نعايم على مصباح
- أصبر يا بنى , إنها تتدلل عليك
- لا يا عمى , ليس هذا دلالاً ولكنه كره
- صدقنى يا ولدى هى لا تكرهك
- ولكنها يا عمى لا تحبنى كما قالت لى صراحة .

قالت الأم فى صوت خافت :

- مسكينة يا ابنتى

قال صالح :

- لا تسمع كلامها ولا تعره انتباهاً , فالمستقبل كفى بتغيير الاحوال وأرجوك يا بنى أن تصبر عليها , والأمر أمر وقت ليس إلا

- سوف أطيعك يا عمى وأصبر

أنصرف مصباح عائداً إلى منزله ، وترك عمه وزوجته التى  
قالت له :

- يا صالح ، إبنتنا تعانى ، ومن الظلم أن ندعها تقاسى وتعاشر  
زوجاً لا تطيقه

- دعك من هذا الهراء ، فالطلاق ليس بالشئ الهين وسوف  
تغير نعيم رأيها مستقبلاً عندما ترزق بطفل

- وهل ينجب القرد الا قرداً ؟

صاح بها زوجها : اسكتى

- أمازلت مصرأً على ظلم ابنتنا الوحيدة ؟ ان ذنبها معلق برقبتك

- لا تتجاوزى حدودك يا امراة ، فانت لا تفهمين أمور الحياة

وحتى لا تصل الأمور إلى أبعد من ذلك ، وإزاء إصرار الزوج  
وعناده ، أنصرفت الأم باكية .

دخل مصباح حجرة نومة فوجد نعيم ساهرة لم تنم بعد ،  
وقد افترشت الأرض تاركة السرير . قال لها مصباح :

- لماذا تتركين السرير وتنامين على الأرض ؟

- ان السرير لك والأرض لي
- أن هذا الأمر لا يصح بين زوجين
- لم نعد زوجين يا مصباح
- لقد أخبرت عمى بكل ما قلتيه وأوصانى بالصبر وأن أحتملك
- قالت نعايم باصرار
- لن تجد منى فائدة بعد الآن
- اراد مصباح أن ينهى المجادلة فقال :
- نامى الآن ويجعل الله فى الصباح فرجاً .
- نزل مصباح من على السرير , ورقد بجوارها على الأرض , وقال لها مداعباً : انت حياتى , فهل يرضيكى أن تسلبينى حياتى ؟
- يا مصباح أنا لا أكرهك , ولكنى لا أستطيع ان اقبلك زوجاً إنى أعدك أخألى
- وهل ينقصنى شئ من الرجال ؟
- لا ينقصك أى شئ .. انت سيد الرجال , ولكن لا اتفق معك كزوجة .
- فلتصبرى كما قال عمى ربما تغيرين رأيك
- لا يا مصباح

- سوف أنام معك على الأرض

- لا يا مصباح ، قم إلى سريرك ودعنى أرجوك

- يعنى هذا أن لا فائدة ؟

- أجل يا مصباح

- لك ما شئت

نامت نعايم على الأرض ، ونام مصباح على السرير .  
قامت نعايم فى الصباح - كما تعودت أن تقوم مبكرة - وقدمت  
الطعام إلى مصباح دون أن تشاركه أو تتكلم ، فاكل غير مبال ،  
وأنصرف إلى عمله . سعدت نعايم إلى سطح الدار ، فإذا بها  
تجد جابراً كأنه كان فى انتظارها ، وأشار إليها بالتحية ، فلم  
ترد وهبطت إلى أسفل الدار مسرعة وهى تعانى الاماً لا تحتمل  
. جلست على الأرض تبكى حادثت نفسها : هذا زوج لا تطيقه

وهذا شيطان رجيم يتربص بها

وهذا حبيب بعيد المنال

وهذا أب قاس

وهذه أم لاحول لها ولا قوة

إنها حلقات متصلة من اليأس والقنوط .

فى المساء عاد مصباح إلى داره , وقدمت نعايم له العشاء دون أن تشاركه - كما فعلت بالأمس - وبعد أن فرغ من طعامه قالت له :

- ماذا قررت يا مصباح :

تجاهل مصباح سؤالها قائلاً :

- فى أى شئ ؟

- فى مسألة طلاقى منك ؟

- إنس هذا الموضوع الآن , وهيا إلى النوم

- نم انت على السرير , ودعنى افترش الأرض

- لا يصح هذا يا نعايم

- بل هو الصحيح يا مصباح

قال قى أسى :

- لك ما شئت .

وكالأمس نام مصباح على السرير , أما هى فقد أفترشت الأرض وظلت طول الليل تفكر فيما يجب أن تفعله .. ها هو مصباح لا يستجيب لطلبها , وماذا فى وسعها أن تفعل ؟ إذا جاء الصباح فلا بد من عمل شئ ما .

فى الصبح لم يبد عليها تغير فى ملامح وجهها ، وأدت  
واجبها كالمعتاد .. وخرج مصباح إلى عمله ، أما هى فقد  
جمعت ملابسها وحاجياتها فى صرة حملتها على رأسها ،  
وتوجهت إلى منزل أبيها .

دخلت نعيم دار والدها تحمل فوق رأسها صرة ملابسها  
 . وعندما رأتها أمها أدركت ما انتوته نعيم . نظرت إليها  
دون ان تتكلم، ووضعت نعيم صرة ملابسها على الارض وظلتا  
صامتتين برهة . ثم ضمت الأم أبنيتها قائلة :

- ما الأمر يا نعيم ؟
- لم أعد أحتمل يا أمى .. لقد حاولت جهدى وقاومت أن أقبل  
مصباح فى حياتى فلم أستطع ، ولن أعود إليه سواء طلقنى أم لا
- ولكن والدك لن يقرك على نواياك
- إذا أجبرنى أبى على العودة لمصباح فسوف أقتل نفسى  
فاحتضنتها أمها فزعة قائلة
- لا يا أبنتى ... لا .. لا لن أخضع لأبيك وسوف يقبل رغبتك  
ويجيب طلبك
- عاد الأب إلى منزله عصاراً فوجد نعيم فى الدار ، قطب  
حاجبيه وقال :

- ماذا يا نعيم ؟

عندئذ قالت الأم :

- أسمع يا صالح ، أن نعيم لم تعد تحتمل مصباح ولقد أجبرتها على الزواج منه ، وقبلت إرضاء لك وعدم معصيتك وحاولت جهودها أن ترضى به زوجاً فلم تطاوعها عواطفها ، وأصبحت لا تطيق حياتها معه .

- لكن مصباح أصبح زوجها وتجب عليها طاعته والرضا به زوجاً  
- لقد حاولت ولم تستطع

عندئذ صاحت نعيم فى جرأة لم تعهدها أمام أبيها :

- أرحمنى يا أبى ، أن النار تشتعل فى قلبى .. ولا أستطيع أن  
أحتمل أكثر من هذا .. أرجوك يا أبى

- حاولى يا ابنتى

- سوف أقتل نفسى أن أجبرتنى على العودة لمصباح

صرخت الأم قائله :

- لا يا أبنتى .. لن نجبرك على شئ لا تريدينه ، وأنت يا صالح كفى معاندة ، ولا تنس أن هذه ابنتنا الوحيدة ، ولن أدعها تضيع منا

أطرق صالح وأدرك أنه يجب أن يخضع لرغبة أبنته  
وزوجته وقال :

- إلى هذا الحد تكريهينه ؟

قالت نعايم :

- أنا لا أكرهه , وإنما لا أطيعه زوجاً أنا اعتبره اِخاً لى

غلبت عليه عاطفة الابوة على عاطفة حبه لابن أخيه فقال

- لك ما تشائين يا ابنتى .

أسرعت نعايم متناولة يد أبيها تقبلها . تتمم الأب : إلى  
هذا الحد لا تقبلينه . ؟

لم تذهب نعايم إلى الحقل بالغذاء لمصباح كعادتها .. أنتظرها  
حتى عصر اليوم فلم تحضر ساوره الشك والظنون فيما قد  
حدث لها حتى لا تحضر له الطعام .. رجع إلى البيت فلم  
يجدها وتفقد حاجياتها وملابسها فلم يجدها , فأدرك أنها  
تركت منزله إلى منزل أبيها .

توجه من فوره إلى منزله عمه , فوجده جالساً على المصطبة  
وكأنه كان ينتظره ,لقى عليه التحية ثم قال :

- نعايم تركت المنزل يا عمى , أهى لديكم ؟

- أجل يا بنى

- أنا لم أغضبها فى شئ

- أعلم يا ولدى

- ما العمل يا عمى ؟

- لا ادرى ماذا اقول يا ولدى

- لا تقل شيئاً وسوف أعفئك من الحرج , ما دامت نعايم لا

تريد معاشرتى فلن أجبرها على شئ لا تريده , فهى قبل

أن تكون زوجتى فانها ابنة عمى .. يعنى أختى ويهمنى أن

تكون مرتاحة وسعيدة . نادها يا عمى

- لماذا تريدها يا مصباح ؟

قال مصباح فى حزم :

- نادها يا عمى

نادى صالح ابنته طالباً منها الحضور , فحضرت هى

وأمرها . قال مصباح موجهها كلامه لنعايم :

- يا ابنة العم , أنا لم اسء اليك فى شئ

قالت نعايم

- أنت نعم الزوج

- فلماذا تكرهيني ؟

- يا مصباح أنا لا أكرهك ، ولكنك بالنسبة لى أخ ولست كزوج  
فماذا أفعل فى قلبى ؟

- على كل ، يهمنى راحتك وسعادتك ، ولطالما راحتك وسعادتك فى  
فراقك لى ورغم أن قلبى ينفطر حزناً ..... ” ثم تهدج صوته وقال

- انت طالق ولك حریتك .

ثم قام مسرعاً وانصرف عائداً الى منزله .

## الفصل الرابع

أصبحت نعايم طالقة ، وانتشر خبر طلاقها فى أنحاء القرية ، كان الطلاق من الامور النادرة ويعتبر حدثاً جليلاً قالت النسوة .

- اخيراً نالت حريتها بعد أن أجبرها أبوها على الاقتران بمسخ بشرى .  
قال الرجال :

- كيف تتزوج الغزال قرداً ؟

على أن الجميع أجمعوا على أنها عانت كثيراً ، ورغم معاناتها فإنها لم تعص لأبيها امراً ، ولم تتمرد إلا بعد أن فاض بها الكيل .

علم محمود بطلاقها ، فأمثلاً قلبه بالسعادة ، وعأوده الأمل من جديد فى ان يجتمع شمله بنعايم كما علم جابر بطلاقها فأحس بالسرور يملأ قلبه ، وأضمر فى نفسه امراً .

وعندما علمت سعيدة ، أسرعت إلى نعايم لزيارتها ، وجلست معها فى صحن الدار . قالت نعايم

- أنا الآن أصبحت حرة
- قالت لها سعدية
- وماذا تنوين عمله بعد طلاقك ؟
- لا بد أن أقابل محمود .
- كيف ؟ إن أباك لن يسمح لك بالخروج
- سوف أحتال على ذلك , فقط عليك بزيارتي يومياً
- سوف أتيك كل يوم
- دبريني كيف أقابله
- قابليه كما كنتما تتقابلان قبلاً
- أتقصدان الصفاة ؟
- أجل
- إضربي معه موعداً يقابلني هناك
- دبري أمرك أولاً كيف ستخرجين من البيت ؟
- سوف استعطف أمي لكي تدعني أخرج
- وإذا لم توافق ؟

- تحت إلحاحى ستوافق

- أذن سأقابله واضرب لك معه موعداً .

\*\*\*

قابلت سعدية محمود ، وأبلغته برغبة نعيم فى مقابلته ،  
فحدد لها موعداً عند الصفصافة وأخبرت سعدية نعيم بذلك .

ظلت نعيم تستدر عطف أمها ، وترجوها أن تسمح لها  
بالخروج بدعوى زيارة سعدية ، وعندما قالت لها أن أبها لو  
علم بخروجها من المنزل سيكون طامة كبرى ، فأخبرتها نعيم  
أنها لا بد أن تروح عن نفسها وإنها لن تمكث طويلاً بالخارج .

وأخيراً سمحت لها أمها بالخروج ، ولقيت محمود ، وكان  
لقاء المقهورين . قالت نعيم

- أنا الآن أصبحت حرة وعليك أن تجعل أباك يسرع فى طلب  
يدى من أبى قبل أن يسبقك رجل آخر

- سوف يحدث

\*\*\*

عند رجوعها إلى المنزل كانت سعدية تصحبها ، وقد لمحها  
جابر-ولكنه لم يدرك أنها كانت تقابل محمود - فقرر أن

يسرع فى طلب يدها من والدها

أما محمود , فقد جلس مع أبيه وأمه وأخيه الصغير أحمد

وقال محمود :

- ان نعايم أصبحت الآن حرة . فارجو يا أبى ان تطلبها لى من  
ابيهها قبل ان يسبقنا آخر

قال الاب

- ابعد كل ما حدث , ورفضه لك قبل ذلك تطلبها للزواج مرة  
أخرى ؟ لا يا بنى .. لا

- ولكنها يا أبى ليس لها ذنب فيما حدث , وأنت تعلم أن  
أباها أكرهها على الزواج من مصباح

- ولكنه زواج على سنة الله ورسوله

- إنه زواج مكرهة

- وهل تتزوج مطلقة وأنت لم يسبق لك الزواج ؟

- لا يعد زواج نعايم من مصباح زواجاً شرعياً , لأنه إكراه للعشرة  
, والله ورسوله لا يرضيان بذلك

- ولكنه زواج تم على سنة الله ورسوله

- يا أبى .. الله ورسوله لا يقبلان الإكراه فى الزواج
- يا بنى أنها مطلقة
- أنها طلقت لأنها أكرهت على زواج تأباه , ولم تعص لأبيها أمراً , كما أنها لم ترتكب إثماً أو خطيئة فلا تظلمها كما ظلمها أبوها , أوما محمود إلى أمه وأخيه بما يعنى أن يتدخل . قالت امه
- يا حاج رجب , أحلفك بالله الذى حججت بيته ورسوله الذى أرسله , أن تلبى رغبة إبنك .. فلطالما هى رغبته فلتلبها له
- وهل تقبلين أن يتزوج ابنك من مطلقة ؟
- وما ذنبها إن ما يقوله ابنك هو الصواب
- قال الطفل احمد :
- بالله يا أبى أن تلبى رغبة اخى
- كانت الأم والأبن يعلمان ما يكنه قلب محمود من حب نعيم , فكانا فى صفه ناصرين ومعاونين
- رق قلب الأب وأدرك مدى تعلق ابنه بنعيم ورأى أن من الحكمة أن يحقق له رغبته ويستجيب لرجاء زوجته وابنه احمد . قال الأب :

- فلننتظر يا بنى حتى تنقضى عدتها
- شكراً يا أبى

\*\*\*

قابل محمود سعدية وأخبرها بموافقة أبيه على زواجه من  
نعائم بعد إنتهاء عدتها , وعلى الفور ذهبت سعدية إلى نعائم  
وأخبرتها بذلك

فرحت نعائم أيما فرح عندما علمت ذلك من سعدية  
وقبلتها وصفقت بيدها واهتز جسدها رقصاً فنظرت إليها  
سعدية مبهورة وقالت :

- إلى هذا الحد يا نعائم ؟
- أجل يا سعدية , فانت لا تعرفين ما يمثله محمود بالنسبة لى
- صمتت سعدية بعد ذلك وظلت ساهمة . قالت لها نعائم :
- فيم تفكرين ؟
- سوف أسألك سؤالاً وأرجو أن تجيبينى عليه بمنتهى الصراحة
- قطعاً يا سعدية فانت أختى ولا أخفى عليك سراً
- هل خرج مصباح من حياتك إلى الأبد ؟

- أجل ولم يبق منه سوى أنه ابن عمى
- إن مصباح لن يظل هكذا بدون زواج , ولا بد له أن يجد من ترضى به زوجاً , فما شعورك بذلك
- فرحة الأخت لأخيها
- ألا ينتابك شئ من الندم ؟
- على أى شئ ؟ أنا الذى تركته فكيف أندم على شئ تركته بإرادتى
- سوف أصرحك القول لو تقدم لى مصباح زوجاً فسوف أقبله  
فغرت نعايم فاها دهشة وقالت فى زهول :
- اترضين به زوجاً ؟
- أجل يا نعايم
- انت جميلة , ويرغبك أى شاب فى القرية
- ولكنى لا آنف منه زوجاً
- أنت جادة فيما تقولين ؟
- أجل يا نعايم
- إذا كانت هذه رغبتك فإنى سوف اسعى لتحقيقها

- كيف ؟

- سأطلب من أمى أن تحدث أبى وتطلب منه أن يطلب من

مصباح أن يطلبك للزواج .. فقط اسألك سؤالاً

- ما هو ؟

- ماذا أعجبك فى مصباح ؟

- إنه رجل طيب القلب ميسور الحال ورغم دمامته فهو حسن العشرة

- إنه حقاً كما تقولين ولكن دمامته تمحو كل حسناته

- أنا أعتقد العكس .. أن حسناته تمحو دمامته

- إنه ابن عمى وأخى ، وأنت صديقتى الحميمة ، وأكثر اخوة

لى ، وطالما هذه رغبتك فسوف اسعى لتحقيقها

\*\*\*

انصرفت سعيدية وتركت نعيم ذاهلة .. ذهبت نعيم إلى

أمها وقالت لها :

- هل تتصورين يا أمى أن سعيدية لا تمنع فى قبول مصباح

زوجاً لها إذا ما طلبها للزواج ؟

قالت الأم فى دهشة .

- هل هذا معقول ؟
- لقد أخبرتنى بذلك .. ولهذا أرجوك يا أمى أن تحادثى أبى أن يطلب من مصباح أن يطلب سعديّة من أبيها للزواج .
- هل تتكلمين بصفة الجد ؟
- أجل يا أمى , لقد قالت هى ذلك بنفسها وصراحة
- أطرقت الأم .. كانت كلتاهما - الأم والأبنة - تريدان أن تقدما لمصباح شيئاً يعوضه عن فقدته لنعائم خاصة وأنه كان كريماً فى معاملته لها , وحقق لها رغبتها فى الانفصال دون عناء منها ودون ممانعة منه , وقد أعتبرتا هذا جميلاً يجب عليهما أن ترداه بمثله .. وها قد جاءت الفرصة لرد الجميل .
- عندما حضر صالح قالت له الأم :
- يا صالح .. ان مصباح رجل طيب ولم يسء لابنتنا كما أنه ابن أخيك الوحيد , ويجب أن نكون كرماء معه كما كان كريماً مع ابنتنا ومعنا .
- ما معنى هذا ؟
- يجب أن تخطب له فتاة عوضاً عن نعائم
- انت التى تطلبين هذا ؟

- أجل يا صالح يجب أن نرد له الجميل
- ومن تظنين الفتاة التي نطلبها له ؟
- اطلب له سعدية
- نظر الرجل اليها في دهشة قائلاً :
- سعدية ؟
- أجل سعدية
- إن ابنتك وهي ابنة عمه لم تقبله زوجاً أتقبله سعدية ؟
- أجل تقبله
- أحسن صالح الثقة في كلامها فقال :
- أواثقه أنت من ذلك ؟
- أجل واثقة .
- ومن أين لك هذه الثقة ؟
- لقد تكلمت سعدية مع نعيم , وأبدت رغبتها وعدم ممانعتها لو تقدم مصباح طالباً يدها للزواج
- إذا كان الأمر كما تقولين , فإن هذا يسعدني كثيراً ويريح قلبي تجاه ابن اخي , نظراً لإحساسى تجاهه بالأسى . وسوف اطلب منه ذلك

جلس صالح مع مصباح وقال له :

- يجب أن تتزوج يا مصباح
- لا يا عمى
- لماذا يا ابنى ؟
- كفى يا عمى ما حدث
- أن الحياة لن تتوقف يا بنى , وكل شئ قسمة ونصيب
- وهل أكرر التجربة مرة أخرى , وأعرض نفسى للسخرية من فتاة لا تقبلنى زوجاً لها ؟
- لا تقل هذا يا بنى , فهناك من تتمناك
- ياعم إذا كانت ابنتك لم ترغب فى عشرتى وهى ابنة عمى , فمن هى التى تقبلنى زوجاً لها ؟
- لقد وجدتها
- وترضى بى ؟
- أجل
- من هى ؟
- سعدية

قال مصباح فى دهشة :

- سعدية ؟

- أجل يا بنى

- اتقول يا عم إنها ترضى بى زوجاً ؟

- أجل يا بنى ... وافق أنت فقط وسوف أقوم أنا بخطوبتها لك

- من ناحيتى ليس لى مانع , ولكنى أخشى على نفسى من رفضها , فيحزننى ذلك اكثر مما أنا فيه من حزن

- لن ترفض , وسوف أقوم بخطوبتها لك

- وما الذى يجعلك متأكداً من قبولها ؟

- أنا واثق مما اقول

- افعل ما شئت يا عمى , أما أنا فلن أذهب معك لوالدها , أذهب أنت وحدك حتى إذا تم الرفض أكون بعيداً عن الأمر وليس لى فيه دخل

- فى اليوم التالى ذهب صالح إلى عبد البر - والد سعدية -  
وطلب منه ابنته زوجة لابن أخيه

أصابته عبد البر الدهشة وقال :

- أنه كان زوجاً لابنتك ولم تطقه وهى ابنة عمه فكيف تطلب

منى ابنتى زوجة له ؟

- إنه ابن أختى والزواج قسمة ونصيب

- وهل تظن أن ابنتى تقبله كما لم تقبله إبنتك ؟

- إن الأمر يختلف من شخص لآخر ، وما أقبله أنا قد لا تقبله

أنت ، وعلى كل لا تعطنى رأيك الآن ، فكر فى الأمر وشاور

أهل منزلك ، فقد لا تجد مخالفة وسوف أعود إليك بعد يومين

- تطلب منى أن آخذ رأى أبنتى وأمها ، فهل أخذت انت رأى

إبنتك وأمها عند زواجهما ؟

- الأمر يختلف ، فهو ابن عمها ، وكان يجب أن تتزوجه لتنعم

ببحبوبته ، فما أملك لهما بعد وفاتى . لأنه وارثى وكان على

أن أصمم على زواجهما حتى يصير مالى وماله لهما سوياً

- ادركت الان مقصدك وسوف أفعل إن شاء الله فقط عد إلى بعد يومين

إنصرف صالح .. نادى عبدالبر زوجته وابناءه وقال :

- اتدرون لم جاء صالح لزيارتنا ؟

قالها بلهجة التهكم . قالت الام :

- وأن لنا أن نعرف

- إنه جاء يطلب سعدية للزواج من ابن اخيه مصباح
- فغرت الأم فهاها دهشة , وعلت الدهشة وجوه الأبناء ما عدا سعدية التى كانت تعلم سبب الزيارة
- قالت الام :
- صالح يطلب سعدية للزواج من مصباح وهو يعلم أن ابنته نعيم لم تطقه زوجاً لها . هل هذا معقول ؟
- إن هذا ما حدث , ولم أقطع معه برأى , فقد طلب منى أن استشيركم فى الأمر
- اسرعت الأم قائلة :
- طبعاً ترفض يا عبدالبر
- قال الابن ” سعد ” وكان ميالاً لمصباح
- يجب الأنتسرع فى البت فى الأمر فإن مصباح رغم دمامته محبوب من الناس وذو سعة من العيش وهو رجل مؤدب ولم نسمع عنه ما يشينه , وقبل كل شئ واخره يجب أن نأخذ رأى سعدية
- قال الاب
- ومنذ متى نأخذ رأى بناتنا ؟

- يا أبى مصباح لا يعيبه إلا شكله وهو ميسور الحال يملك  
من الأرض فدانا ونصف ، ويعيش فى بحبوحة من العيش ، ولا  
يعمل اجيراً عند احد ، بل الغير هو الذى يعمل عنده اجيراً

قال الأب فى تهكم !

- ما رأيك يا سعدية ؟

- أتسمح لى يا ابى أن أقول رأى صراحة ؟

- أجل يا أبتنى

- كل من تقدم لى كان فقيراً أو اجيراً ، وهل تروم الفتاة من  
الزواج غير رجل ميسور الحال ، تعيش فى كنفه عزيزة  
مكرمة ، يجعلها مرتاحة البال امنة المستقبل

قال الرجل

- يبدو أنكم على صواب .. أشم فى كلامك يا سعدية رائحه الموافقة

- ما تراه يا أبى صواباً أفعله

- أسألك صراحة اتقبلينه زوجاً ولا تفعلين مثل ما فعلت معه نعيم ؟

- يا ابى كل له رأيه

- أجيبى صراحة ولا تخجلى

- أجل يا أبى

هدأت الام بعد سماعها كل ما دار من حديث وقد تغير رأيها ..  
واتفق الجميع اخيراً على أن مصباح صفقة رابحة رغم دمامته  
، وما دامت سعدية تقبل دمامته ، فانه يكون زوجاً مناسباً لها  
قال الرجل فى نهاية المناقشة .

- لقد حادثنكم فى الأمر بغية المزاح ، فاذا بالأمر يأخذ مسار  
الجد ، ولم نعتد أن نأخذ رأى الفتيات فى الزواج ولكن لن  
أفعل كما فعل صالح فى إجبار إبنته على الزواج من رجل  
لا ترغبه ، فكان الطلاق نهاية المطاف

قالت الأم بعد أن راقتها المناقشة

- تعودنا منك يا عبدالبر حسن التفكير ، والأمر فى النهاية لك وحدك  
- سوف أقبل مصباح .. أتدرون لماذا ؟

قالت الام :

- لم يا عبد البر ؟

- اولاً لأن سعدية موافقة ثانياً لأن من يكون مثل مصباح سوف  
يضع سعدية فوق رأسه وداخل قلبه ، لأنه يعلم أنها جميلة  
وهو دميم ولهذا سوف يطلب ودها دائماً ويعمل على راحتها

- صدقت يا عبدالبر

عندما عاد صالح مرة أخرى إلى عبدالبر , أخبره عبد البر  
بالموافقة فحدد معه ميعاداً يلقاه مع ابن اخيه , وقام صالح  
باخبار مصباح بموافقة عبدالبر :

قال مصباح لعمه

- لقد وافق أبوها , فمن اين لى ألا تفعل مثل ما فعلت ابنة عمى ؟

- لا يا مصباح , سعدية تريدك فعلاً

- وأنّ لك أن تعرف رأيها ؟

- إنها كانت دائمة الحديث مع نعايم , وكانت دائماً تمدحك

- وهل يعنى مدحها لى قبولها الزواج منى ؟

- أجل .. إن نعايم صديقتها وتعرف إنها تقبلك زوجاً

- او تعرف نعايم ذلك ؟

- أجل ... وهى التى طلبت منى أن اخطب لك سعدية بناءً

على طلبها .

- أتأكدت أنت يا عم من هذا ؟

- أجل يا ولدى , وإلا لما ذهبت لأبيها وخطبتها لك

- إذا كان الأمر كذلك فالله موفق
- على بركة الله يا بنى
- اصطحب صالح ابن اخيه مصباح إلى منزل عبدالبر وعندما  
جلسا مع صاحب الدار قال صالح .
- الآن جئت اطلب يد ابنتك سعدية لابنى مصباح ..  
قاطعته مصباح قائلاً :-
- مهلاً يا عمى من حقى أن أتأكد أن سعدية توافق أم لا  
قال عبدالبر :
- أجل يا مصباح هي موافقة
- يهمنى أن أتأكد من ذلك قبل قراءة الفاتحة , ورتببط ثم لا قدر  
الله يحدث ما لا يحمد عقباه
- لك الحق فى ذلك يا بنى . ولكنى أوكد لك أنها موافقة وإلا  
لما قبلتلك .. فأنا غير عمك . لا أجبر ابنتى على شئ لا تريده
- اعذرنى يا والدى , فلقد مررت بتجربة أرجو الا تتكرر  
قال عبدالبر :

- لك الحق يا ولدى ، ونحن نقدر ما حدث لك ، ولكن أؤكد مرة اخرى عدم ممانعتها
- انا سعيد بذلك وسوف أضع سعدية داخل عينى وعلى بركة الله نقرأ الفاتحة

وقرأ الجميع الفاتحة .. وتمت خطوبة سعدية لمصباح

- انتشر خبر خطوبة سعدية لمصباح فى القرية ، وكان لهذا الخبر صداه ، نظراً لجمال سعدية وقبح مصباح الأمر ، الذى جعل شباب القرية فى حيرة .. ولكنهم لا يعرفون وجهة نظر سعدية فى قبولها لمصباح زوجاً ... وان سعدية رأت فيه - رغم دمامته- بسطة فى الجسم ويسراً فى المال وشجع هذا جابر على ما نواه . فذهب إلى والد نعايم فى الحقل فوجده راكباً ” النورج ” والنورج مربوط برقبة ثور مغمى العينين ، يجره فوق دائرة من حزم القمح التى تتعرض لعجلات النورج الحديدية الحادة ، فتهرسها لتفصل الحب عن العيدان بعد تكسيورها لتصبح تبناً . نزل صالح من على النورج وترك الثور يدور وجلسا تحت شجرة التوت . تكلم جابر مع صالح فى أمر زواجه من نعايم . قال صالح .
- انت تعلم يابنى ان نعايم الان فى شهور العدة كما أنك رجل متزوج

- أنت تعلم ياعم صالح أنه لا وفاق بينى وبين زوجتى مبروكة  
فهى امرأة سيئة الطبع , وتهوى النكد , كما انها عاقر ,  
ولكنها زوجتك
- سوف اطلقها
- أنا لا أرض يا بنى بخراب البيوت
- أن هذا الأمر لا بد من حدوثه . لأن العشرة أصبحت مستحيلة بيننا
- دع الأمر الآن , لأن نعايم كما قلت لك فى شهور العدة
- سوف انتظر .. فقط ارجو منك وعداً
- يفعل الله ما يشاء

انتعشت امال جابر فى الفوز بنعايم , وصار كثير التردد  
على صالح , والجلوس معه على المصطبة .

احست نعايم بالخطر فطلبت من أمها , ان تزور سعدية  
فى دارها أثناء وجود أبيها فى الحقل , وبدعوى تهنئتها  
بخطوبتها لمصباح , الأمر الذى جعل أمها تستجيب لها .

وعندما كانت نعايم فى ضيافة سعدية , أخبرتها بمخاوفها  
من تردد جابر كثيراً على والدها وأنها ترى هذا مؤشراً سيئاً  
وطلبت منها الإسراع فى إخبار محمود برغبتها فى لقائه

عند الصفاة . وفى الموعد المحدد , حضرت سعيدة إلى أم نعيم وطلبت منها ان تسمح لنعيم بصحبتهما لشراء بعض مستلزمات الزواج , فسمحت أمها لها بشرط عدم التأخير .

أسرعت نعيم الى عشاها الغرامى لتجد محمود فى انتظارها , بكى الاثنان قبل ان يأتيهما الكلام . قال محمود .

- لقد طلبت من أبى أن يخطبك من أبيك

- وماذا قال لك ؟

- وافق بعد شهر العدة

- اطلب منه أن يأتى لأبى ويقراً معه الفاتحة

- طلبت منه ذلك . لكنه قال أنه ليس من اللائق الأن ذلك قبل أن تتم عدتها .

- انى أرى جابر الحلاق يحوم حول أبى . وأنا لا استبشر خيراً بتردده الدائم لدى أبى

- أعتقد أن أباك لن يبيت فى أمر زواجك قبل إنتهاء عدتك

- لست مستريحة يا محمود واشعر بعدم الاطمئنان

- ان اباك لن يستطيع ان يفعل شيئاً قبل انتهاء عدتك هذا ما قاله أبى .

- أرجو يا محمود ان تطلب من ابيك ان يحدث ابي قبل انتهاء العدة بقليل يجب علينا أن ندرء الخطر قبل وقوعه
- سوف أفعّل إن شاء الله

- سوف اتصرف الآن لأن أُمّي حذرتني من التأخير

- تصحّبك السلامة

وعند العوة كانت سعدية برفقة نعيم , ولم يكن لهما حديث سوى ما هي فيه من مخاوف ان يتقدم جابر أو غيره لأبيها قبل محمود . ولكن سعدية طمأنتها قائلة

- لقد قال لك محمود أنه طلب من أبيه خطوبتك , وقد وافق أبوه فور انتهاء عدتك , وهذا امر معقول

- لكني خائفة يا سعدية

- اطمأني يا اختاه

## الفصل الخامس

ذهب جابر إلى صالح ، وجلس معه على المصطبة ، قال جابر :

- لقد طلقت مبروكة
- ولم يا ولدى ؟
- لأننى أصبحت لا أطيقها ، كما أنى لا أرغب فى أن يكون  
لنعايم ضرة
- قلت لك أنتظر ولا تتسرع
- نقرأ الفاتحة وننتظر حتى توفى عدتها
- أطرق صالح قليلاً ثم قال :
- لقد تسرعت يا ولدى
- أن هذا الأمر واجب الحدوث كما أخبرتك يا عمى
- وقيم العجلة يا ولدى
- ولماذا الأنتظار إننا متفقان

- نحن لم نتفق بعد

- لا يوجد ما يمنع اتفاقنا . فلنتفق على بركة الله

قال صالح لنفسه : خير للمطلقة أن يعجل بزواجها ” ثم  
قال لجابر :

- على بركة الله نقرأ الفاتحة ” ومد يده إلى جابر . نظر جابر  
إلى الطريق فوجد بالمصادفة رجلين يسيران فى الطريق أمام  
منزل صالح , فنادهما قائلاً : تعال يا سيد أنت وعلى

أقبل الرجلان عليهما قال لهما

- اجلسا قليلاً لتكونا شاهدين على قراءة الفاتحة فقد خطبت  
نعايم من أبيها زوجة لى .

كان جابر من الخبث بحيث نادى الرجلين ليكونا شاهدين  
على موافقة صالح على زواجه من نعايم وقراءة الفاتحة .

جلس الرجلان , ومد جابر يده الى صالح وقرأ الجميع  
الفاتحة وانصرف الرجلان , اما جابر فقد فرك يديه سعادة  
وشكر صالح وانصرف

جاءت أم نعايم تعاتب زوجها .

- لماذا تسرعت وقرأت الفاتحة مع جابر

- خير للمطلقة أن يعجل بزواجها
- وماذا لو انتظرنا فربما يأتيها من هو أفضل من جابر
- ابنتك مطلقة ولن يأتيها أفضل من جابر
- ولكنه متزوج
- لقد طلق زوجته ' كما ان ابنتك مطلقة .
- ادركت الأم أن زوجها ارتبط بالفاتحة مع جابر ولا سبيل للرجوع , وللمرة الثانية اسقط فى يد الام . دخلت الام على ابنتها فوجدتها راقدة باكية وهى تلطم خديها قالت لها
- ما يبكيك يا ابنتى ؟
- لقد قرأ أبى الفاتحة مع جابر
- الهذا تبكين ؟
- أجل يا امى ' فللمرة الثانية يقتلنى أبى
- ولكن جابر ليس كمصباح
- هذا دميم وهذا ثقیل الظل .. اننى مثل الحيوان الذى يفعل به صاحبه ما يشاء
- مهما كانت الأمور فان جابر أفضل من مصباح شكلاً

- قد يكون أسوأ موضوعاً
- وهل عاشرتيه حتى تعلمي هذا ؟
- ياهِ على يا أمى .. أنك لن تستطيعي أن تفعلني شيئاً لقد قرر  
أبى وأنتهى الأمر , وما علينا الا القبول سواء رغبنا أم لم نرغب .
- مسكينة انت يا ابنتى , لعل الله يعوضك بجابر خيراً
- قلبى يحدثنى سوف أذوق المر مع جابر
- لا تقدمى سوء الظن يا ابنتى
- ليس سوء ظن , ولكنه شعورى واحساسى
- قد يكون خاطئاً
- وقد يكون مصيباً , وأغلب الظن أنه مصيب
- لعل الله يجعل لك الخير مع جابر
- وحتى لو كان جابر كما تظنين , فأنا لست راضية به .. وأكاد  
اجن مما يحدث لى
- أن شاء الله سيكون خيراً .. تفاءلى يا ابنتى
- يا أمى .. يا أمى .. أبى يذبحنى ولا يرحمنى
- سوف يعوضك الله خيراً .

أشاع جابر خطوبته لنعايم ، متعمداً أن يعلم الجميع بذلك ، حتى يقطع خط الرجعة على غيره ، ولا يتقدم أحد غيره لخطوبتها ، كما أنه تأكيد لذلك ، كان يذهب كل ليلة إلى منزل نعايم حاملاً بعض الهدايا فمرة يحمل بعض عيدان القصب ، وتارة أكياس اللب والفول السوداني ، واخرى بعض قراطيس الشاي والسكر ، وكانت نعايم ترفض أن تتناول شيئاً منها .

حضرت سعيدة فور سماعها نبأ خطوبة نعايم ، ارتمت نعايم فى حضنها باكية ، وقالت لها

- الم أقل لك ان جابر يحوم حول ابى ويكاد لا يفارقه حتى تم له ما أراد ؟

- لم اكن اتصور أن جابر بهذا الخبث

- أرجو ان تسرعى بمقابلة محمود وتضربى معه موعداً لمقابلتى

- وما الذى سوف تقوليه له ؟

- سوف نبحث عن حل لهذه الكارثة

- لقد قرأ ابوك الفاتحة وارتبط مع جابر

- قد يجد محمود حلاً فأنا كالغريق الذى يبحث عن قشة يتعلق بها

وفِعلاً أُسرعت سعديّة لمقابلة محمود وطلبت منه موعداً  
يلقى فيه نعيم عند الصفاة .. حدد لها محمود  
الموعد وعندما التقى محمود نعيم ، بكت وقالت له :

- الم اقل لك أذهب بوالدك وقابلاً أبى قبل ان يسبقكما أحد
- قال أبى أنه من اللائق أن ينتظر حتى توفى عدتك ، ولم نكن  
نعلم ان جابر يلح على أبيك كل هذا الالحاح
- أرجو يا محمود أن تأخذ أباك وتقابلا أبى ، فقد يعدل عن  
رأيه ، فنحن مازلنا على البر

- سوف أفعل

- أرجو أن يكون ذلك سريعاً

- أجل أن شاء الله

اسرع محمود إلى والده قائلاً

- هل سمعت يا أبى أن جابر الحلاق خطب نعيم ؟

- سمعت ذلك يا ابنى اليوم

- ألم أقل لك يا والدى أن نبادر بخطوبتها ؟

- لم أكن أتصور أن جابر بهذا الخبث والمكر

- فلنجرب الذهاب لعم صالح والحديث معه فى أمر نعائم

- لا يا ابنى ، لا فائدة من ذلك

- أرجو يا أبى فلنحاول .

- لقد سبقنا جابر ، وأصبح صالح مقيداً بالوعد

- قد يغير عم صالح من رأيه

كان والد محمود يعلم ما يكنه قلب ابنه من حب نعائم وأراد أن يرضى ابنه ويحقق له رغبته واستجابة لطلب أمه واخيه فقال .

- نذهب يا بنى انشاء الله ، ونحاول ، ولكن لتعلم أن أى رجل

من قريتنا لو قرأ الفاتحة على أمر فإنه لن يعدل عنه وإلا

تعرض لمجلس عرفى يقضى عليه غرامة كبيرة قد لا يستطيع

دفعها او الوفاء بها ، عند إذن يضطر للوفاء بوعده

- وما العمل يا ابى ؟

- لا تحملهما ، إذا وافق صالح سوف أقوم بدفع الغرامة .

- أشكرك يا أبى ولا يحرمنى الله منك

فى المساء اصطحب الاب ابنه الى منزل صالح ، وبعد ان

جلس معه فترة من الوقت فاتحه فى أمر خطوبة نعائم

لابنه محمود . قال صالح :

- لقد تأخرت ما كثيراً ، فقد قرأت فاتحتها مع جابر الحلاق .  
ألم تسمعا بذلك ؟
- ولكنها مازالت فى أيام العدة ؟
- أجل ، لقد خطبها وقرأ فاتحتها لحين انتهاء عدتها
- لا تنسى أن جابر سبق له الزواج أما محمود فما زال أعزباً
- لقد اوقعتنى فى حيرة يا رجب . كيف الخلاص ؟ لا يرضيكما  
أن أخل بوعدى مع جابر وأتعرض لمجلس عرفى وغرامة لا  
أستطيع دفعها .
- لا تحملهما ، وافق وسوف أتكفل أنا بدفع الغرامة
- أنا أعد محمود ابنا لى ، وكنت . اتمنى لو كانت المبادرة لكما  
وليس لدى مانع ، ولكن كيف ستسير الأمور ؟
- سوف أذهب الى شيخ البلد ، وأعرض عليه الأمر وأطلب منه  
التدخل لدى جابر وسوف أدفع لجابر مقدار الغرامة
- أفعل ما شئت يا حاج رجب
- كان محمود ونعايم فى غاية السعادة ، فقد عاودهما الأمل  
، وكاد محمود ان يقبل قدم أبيه اما نعايم فقد أحست أن  
الدنيا لا تتسع لفرحتها من الأمل الذى راودها من جديد

ذهب الحاج رجب الى الحاج شلبي شيخ البلد وقص عليه الأمر كله , وطلب منه التدخل لدى جابر لتحديد ما يرغبه من غرامة .

ارسل الحاج شلبي رسولاً الى جابر يطلبه لمقابلته وعندما جاء جابر رجاه الحاج شلبي أن يتنازل عن خطوبته لنعايم , ويطلب ما يريد من عوض . إلا أن جابر رفض رفضاً تاماً التنازل عن وعد صالح له ولو دفع له كنوز الأرض وعندما جاء الحاج رجب ليعلم نتيجة مسعاه اخبره بما قاله جابر فاسقط في يده وعندما علم محمود ونعايم بذلك , أصابهما الوجوم والحسرة .

عندما خلا جابر بنفسه هز رأسه وقال مخاطباً نفسه

- أهلاً يا صالح أتريد أن تتخلى عن وعدك لى ؟ سوف ألقنك درساً لن تنساه

\*\*\*

ذهب مصباح مع عمه لمنزل عبدالبر والد سعدية , ليحددا ميعاد عقد القران والدخلة , وقال صالح لعبد البر :

- انت تعلم أن مصباح لا ينقصه شئ , فجهازه فى منزله تام وجديد فقط عليك أن تجهز سعدية

- امهلانى اسبوعين أو ثلاثة حتى اتمم لها ما يلزمها

قال مصباح

- انا كافل بأية مصروفات تحتاجها سعيدة وأن شاء الله سوف يكون زفافها ” بالصفرتية ” والطبل البلدى ”

- لك ماشئت يا بنى

- على بركة الله

جلس مصباح على المصطبة أمام دار عمه ومعه عمه صالح وزوجته وابنته نعايم. قالت له زوجة عمه :

- مبروك يا مصباح

أجابها :

- بارك الله فيك يا زوجة العم

وقالت نعايم :

- مبروك يا مصباح

قال مصباح

- أسعيدة أنت بذلك يا نعايم ؟

- قطعاً يا مصباح , فانت أختى وابن عمى , وسعيدة بمثابة أختى وأنت تعلم هذا وأتمنى لكما السعادة

- أجل يا نعيم ... أعلم هذا

مرت عليهم - وهم جلوس - ( سيارة ) من الرجال ينشدون  
سيرة ومدح رسول الله محمداً , فقد كان الميقات يوم مولده عليه  
الصلاة والسلام ( السيارة عبارة عن صفين طويلين متوازيين من  
الرجال يتشابكون بالأيدى , وأمامهم بعض الشباب يحملون  
الرايات المسجل عليها أسماء الله ورسوله وبعض الآيات  
القرآنية) . قال مصباح :

- بهذه المناسبة أود أن أرسل لسعدية بعض الحلوى وعروسة المولد  
قال صالح :

- أجل يا ولدى فهو واجب عليك بهذه المناسبة الكريمة

- ولكن الذى يشغلنى من سيحمل الحلوى والعروسة اليها ؟

ردت نعيم مسرعة

- أنا يا مصباح

قال مصباح فى دهشة :

- أنت يا نعيم ؟

- ولم لا ؟ أليست أختى وهى أختى ؟

- بلى يا نعيم .

وفعلاً ذهب مصباح بصحبة زوجة عمه ونعائم التى كانت تحمل على رأسها سبتاً كبيراً الى محل لبائع الحلوى والعرائس ، فأشترى عروسة من الحلوى وبعضاً من أنواع الحلوى ووضع كل هذا فى السبت الذى حملته نعيم على رأسها وتوجهت به إلى دار سعدية . ولم ينس مصباح أن يشتري بعض الحلوى لعمه وزوجة عمه وابنتهما

كانت نعيم وهى سائرة تحمل الحلوى متوجهة الى بيت سعدية مثار دهشة الناس ، زوجة سابقة تحمل هدايا لزوجة لاحقة ولكنهم أكبروا ذلك من نعيم

عندما بلغت أيام العدة منتهاها ، أسرع جابر باحضار المأذون والشهود وعقد قرانه على نعيم تم هذا دون أن يقام حفل عرس أو يضاء ” كلوب ” أو تردد أغنية فان المطلقة لا يكون لها ذلك مثل ما يكون للفتاة البكر

لم يبذ جابر ما يكرهه من غضب تجاه صالح وانما أسر حقه وغضبه فى نفسه وتعامل مع الامر كأن شيئاً لم يحدث .

\*\*\*

فى المساء التالى لعقد القران ، حملت نعايم صرة ملابسها وسارت بجوار أمها خلف والدها وجابر ، متوجهون الى منزل جابر . لم يشترط جابر أن تحضر نعايم جهازاً كعروس ، فقد طلب من أبيها عدم إحضار أى شئ فهو يريد لها بملابسها فقط لأن لديه كل شئ ، كما أنها لم يكن لديها جهاز فقد تركه أبوها لمصباح قائلاً إن ابنته هى السبب فى الطلاق ، وليس من العدل أن يفقد مصباح زوجته وجهازه دخل الجميع منزل جابر ، وانزلت الأم ” حلة ” كانت على رأسها بها عشاء الزوجين ، وقال صالح لجابر :

- لن أوصيك بنعايم يا جابر .. فأنت فى غنى عن ذلك .. هيا بنا يا أم نعايم .

قبلت الأم ابنتها وفى قلبها غصة وانصرفت هى وزوجها ، وأصبح جابر ونعايم وحيدين ، كانت نعايم تشعر بكأبة لا تدرى مصدرها ، أما جابر فقد كان يفرك يده سروراً فقد نال مأربه ووقفت نعايم كالتائهة ، فقدت الاحساس بالسعادة او الشقاء وانتابها شعور مبهم وكانها مقبلة على مجهول لا تدرى أن كان سعادة أم شقاء .. مد جابر يده ورفع وجهها الى أعلى وطبع عليه قبلة وقال لها :

- أخيراً يا نعيم أصبحت فى بيتى .. هيا أفرغى العشاء

قامت نعيم فى ذل , ووضعت الطعام الذى اعدته أمها  
أمام جابر , وبدأ جابر فى الأكل بينما نعيم مطأطئة الرأس  
, صامته , قال لها جابر :

- هيا تناولى الطعام معى

- ليست بى رغبة

- قلت لك كلى معى , فلن أكل بدونك

مدت نعيم يدها فى تكاسل بينما أقبل هو على الأكل بنهم  
شديد وبعد أن اتم طعامه قام بدفعها الى السرير دفعاً وهى تجر  
ساقىها كما لو كانت بدون وعى بل كانت حقاً بدون وعى  
فى الصباح قام جابر صائحاً :

- أمازلت نائمة ؟ قومى وانظرى ما وراءك من عمل .

قال جابر كلامه هذا بلهجة شديدة , نظرت اليه نعيم  
وعلت الدهشة وجهها .. لماذا يصرخ جابر هكذا . ولماذا  
تغيرت ملامح وجهه إلى هذه الصرامة ؟ وكيف انقلبت رقة  
الأمس الى شراسة اليوم ؟ ماذا حدث ؟ وساءلت نفسها اهذا  
جابر الامس؟ لقد كان بالامس يتظاهر بالرقة . اما الان فإنه

يتكلم بجفاء وغلظة. أنقبض قلبها وقامت مسرعة لتعد الافطار لجابر، وهى تشعر بخوف شديد كلما نظرت اليه جلس جابر يأكل بنهم كعادته ، ولم يدع نعيم إلى تناول الطعام معه ، وما أن فرغ حتى انصرف خارجاً لعمله . فغرت نعيم فاها دهشة ، ما الذى يحدث ؟ أن جابر الأمس غير جابر اليوم ، أكانت ابتسامته تخفى طبعه اللئيم ؟ أجل ... هذا هو جابر الحقيقى .. هل كانت ابتسامته وسيلة لئيل مأربه فلما تحقق له الفوز بها عاد إلى طبعه الجاف ؟ هذه هى الحقيقة التى بدت مسرعة فى الظهور ، ولم يستطع أن يواربها فترة من الوقت ، بل ظهرت رغماً عنه .

يا ويلك يا نعيم من هذا الوحش الادمى الذى بدت صورته الحقيقية فى الظهور . وقالت لنفسها : لقد صدق ظنى عندما قلت لامى أننى سوف أذوق المرمع جابر . سمعت طرقاتاً على الباب ، فاستفسرت عن الطارق أجاب الطارق انه ابوها وامها . توجهت الى الباب لتفتحه فوجدت الباب موصداً من الخارج تعجبت ، كما تعجب صالح وزوجته ، وطلب صالح من زوجته ، ان تعود إلى المنزل ريثما يذهب هو إلى جابر يستطلع الأمر وقد علت وجهه الدهشة

توجه إلى دكان جابر فوجده وحيداً ، القى عليه السلام فرد عليه فى فتور، قال صالح

- لقد توجهنا إلى منزلك فوجدنا الباب موصداً من الخارج يا ترى ما الأمر ؟

وجلس على دكة موجودة بالمحل ، وجلس جابر بجواره وقال

- يا عم صالح ، انا لا أحب أن أزور أحداً ولا يزورنى أحد

- ما هذا الكلام الذى تقوله يا جابر ؟

- أقول ما سمعت يا عم صالح

- ولكنها ابنتنا ولسنا ” أحداً“

- وأنا زوجها وهذه رغبتى

- لنا حق فيها ، أن نراها ونطمئن عليها

- لها أن تزورك مرة واحدة كل شهر

طأطأ صالح رأسه صامتاً ، ولم يتكلم ، وانما أنصرف عائداً

إلى داره ، قابلته زوجته متلهفة لمعرفة الخبر ، فقص عليها

صالح ما دار بينه وبين جابر قالت الام :

- ما هذا الحظ السيئ يا ابنتى الذى يلازمك ما العمل يا صالح ؟

- ليس لنا إلا أن نقبل مشيئة جابر

- وهل نظل هكذا شهراً لانرى فيه ابنتنا ؟

- يكفيننا راحتها فى بيت زوجها

- وكيف لنا أن نعرف أنها مرتاحة ؟

- عندما تجئ وتخبرنا أمرها .

إنفجرت الأم باكية ، فلا حول لها ولا قوة ، أما صالح فقد جلس مفكراً .. لقد خدعه جابر بخبثه وانتابه شعور بأن ابنته قد ظلمت ، وبدأ يشعر بلوعة الأب المتلهف على ابنته ولكنه كظم غيظه ، فإن ابنته فى بيت زوجها ولا يملك من أمرها شيئاً ، وكل ما عليه أن ينتظرها كل شهر يراها ويسمع لها ، وعندئذ يفعل الله ما يشاء . عاد جابر إلى منزله . سألته نعايم :

- لماذا أغلقت الباب من الخارج ؟

- واى شئ تريدينه من الخارج ؟

- لقد جاء أبى وأمى لزيارتى فوجدا الباب مغلقاً

- أعلم هذا ، فقد حضر أبوك لدى فى الدكان .

- وكيف له أن يزورنى ؟

- لقد قلت له أن لك أن تزورينهما مرة واحدة كل شهر

- كل شهر؟

- أجل كل شهر

- أليس هذا وقتاً طويلاً

- اسمعى يا نعايم انا لست كمصباح , لك على أن ألبى لك

كل ما تطلبينه دون أن تخرجى , وأما أهلك , فإنك سوف

تزورينهم كل شهر وليس لك أكثر من هذا خارج المنزل

صمتت نعايم ولم تتكلم وأدركت أنه لن يتورع عن ضربها

إذا ما زاد الحديث عن ذلك . فلطالما سمعت عن ضربه

مطلقته مبروكة وساءلت نفسها : أياكون هذا ذنب مصباح؟

واقنعت نفسها بأنها لا يجب ان تجادله , تجنباً لبطشه,لا

سيما وهى وحيدة فى الدار ولن يدفع أحد عنها أذاه

ذهبت سعدية إلى منزل صالح وجلست مع أم نعايم وقالت لها

- لقد ذهبت إلى نعايم لزيارتها وأبارك لها فوجدت الباب موصدا من

الخارج ، وأخبرتني أنها غير مسموح لها بالخروج ولا أن يزورها أحد

قالت الأم

- اجل يا أبنتى لقد حبسها جابر حتى نحن لم يسمح لنا بزيارتها

- أمعقول هذا يا خالتي ؟
- هذا ما حدث
- أنه غادر ولثيم ، ولكن لماذا فعل هذا ؟
- يبدو أنه يريد الانتقام من عمك صالح
- لماذا ؟
- ألا تعلمين أن شيخ البلد طلب منه أن يحل وعده بزواجه من نعايم ؟
- أعلم هذا ، ولكن هل يصل به الانتقام إلى حد حرمانكم منها ؟
- لقد خدعنا اللثيم
- وكيف تطمئنون على نعايم ؟
- قالت
- أنه سوف يسمح لها بزيارتنا مرة واحدة كل شهر
- لك الله يانعائم ، قلبى معك
- أرايت ما تعرضت له نعايم من ظلم ؟
- ماذا أقول يا خالتي ، لقد غرر جابر بعمى صالح

قابلت سعدية محمود ، وأخبرته بما عليه نعيم من حال ،

بكى محمود ، وقال لسعدية

- أرايت يا سعدية مدى الظلم الذى وقع على نعيم ؟

- أنها تقاسى آلاما ليس لها فيها ذنب

- وهل سنتركها هكذا وحدها تعانى ؟

- وماذا فى وسعنا أن نفعل ؟ حتى أبويها لا يملكان شيئاً

- أنها فى قبضة وحش آدمى ، كان الله فى عونها

قص محمود على أبويه حال نعيم أخذت الحسرة بهما قال أبوه

- سامحك الله يا صالح على ما فعلته بأبنتك

- لقد غرر به جابر

- أجل يا ولدى ، مع أننا نعلم جميعا من هو جابر

- لقد أرتدى قناع البراءة وغرر بعمى صالح

- أجل يا ولدى

- ألا نستطيع أن نفعل لها شيئاً؟

- لا يا بنى ، فليس لنا الحق فى أن نتدخل فى شئون جابر

فهى فى عصمته

جلس محمود مع أبيه وأمه وأخيه الصغير أحمد قال له أبوه

- يابنى أنى أريد أن أخطب لك فتاة من أسرة طيبة

قال محمود

- ليس ألان يا أبى

- لقد أصبح عمرك خمسة وعشرين عاماً ، ويجب عدم الانتظار

أكثر من ذلك

قالت أمه

- قول أبيك حق يا محمود ويجب عدم الانتظار أكثر من ذلك

- يا أمى ليست لى رغبة فى الزواج الآن

تساءل أبوه

- ما الذى يجعلك غير راغب الزواج الآن ؟

سكت محمود . قالت أمه

- لقد كان يريد أن يخطب نعائم أبنة صالح

- وها قد تزوجت ، فهل تظل أعزبا طول عمرك ؟

لم يجب محمود . قالت أمه

- يا بنى البلدة مليئة بالحسلن ، بنات ناس طيبين
- أجل يا أمى أعلم ذلك ، لكن ما المانع أن أنتظر فترة من الزمن ؟
- لاداعى للانتظار وأبوك يختار لك فتاة جميلة وعلى خلق ...
- القضية أننى لأريد الزواج الآن
- يا بنى كفى معاندة ، فنعايم تزوجت وانتهى أمرها ... هذا إذا كنت تنتظرها
- أرجوكى يا أمى نعايم لم تنته من حياتى
- صرخت فيه قائلة
- لكنها تزوجت
- أعلم يا أمى
- وماذا تنتظر من سييدة تزوجت ؟
- لاشئ... لاشئ يا أمى ، فقط دعونى بعض الوقت
- علق الأب قائلا
- يبدو أنه لافائدة فى الكلام معك فى هذا الشأن
- هل تسمحان لى بالأنصراف

- أذهب يا بنى حيث شئت
- بعد أن أنصرف قالت الأم للأب
- ما رأيك يا حاج رجب أن تحدث صديقه ربيع أن يفتحه  
فى هذا الشأن ويلح عليه
- سأفعل ، وأنت أيضا لا تتركه... داومى الحديث معه وألحى  
عليه دوما حتى يستجيب
- طبعا يا حاج رجب ، حتى نخرجه من حالة حب نعائم  
ذهب رجب إلى ربيع بن سليمان صديق محمود وقال له
- ياربيع محمود صديقك وأخوك
- طبعا يا عمى
- أنه يرفض الزواج الآن رغم أنى وأمه نلح عليه أن يقبل  
الزواج من أى فتاة يختارها
- وما الذى ترانى أفعله
- نريدك أن تقنعه بالزواج
- وهل فى بالك فتاة معينة ؟
- فليختر هو فنحن لا نجبره على فتاة معينة

- يبديو يا عمى أن حبه لنعايم مازال متأججا فى قلبه
- هذا هو الامر الذى يجعلنى راغبا فى تزويجه بشدة
- وهل تظن يا عمى أن زواجه يمحو حبه لنعايم ؟
- أجل يا ولدى ... عندما يتزوج وينجب أطفالا سيجد نفسه متخلصا من هذا الحب اللعين
- سأفعل يا عمى إن شاء الله
- نحن نعتمد عليك كثيرا ، فلا تتركه حتى يستجيب لك
- جلس ربيع مع محمود وقال له
- يا محمود لماذا لاتطع أباك وتقبل الزواج ؟
- وهل فاتحك أبى فى هذا الشأن ؟
- طبعا ، أن أباك وأمك يكادان أن يجننا
- لقد أخبرتهما الأنتظار فترة من الوقت
- ولم يا محمود ؟
- أنت تعلم أن حب نعايم فى قلبى حتى الآن ، ولم أتخلص منه
- وماذا بعد الانتظار ؟

- وماذا لو انتظرنا فترة أخرى

- أظنى يامحمود ، أن الزواج الآن هو العلاج الشافى لحالتك

- الحب ليس له علاج كما تتوهمون ، قد يخبو ولكنه لا يموت

- على الاقل أن الزواج سوف يقلل من تأججه

- لا ياربيع دعنى الآن أرجوك ولا تحملنى مالا أطيق

- معنى هذا أن لافائدة ؟

- أجل ياربيع

ذهب ربيع إلى الحاج رجب ، واخبره أنه حاول مع محمود بكل الوسائل إلا أنه لم يستجب له ورفض رفضا باتا فكرة الزواج الآن ولا بد من الأنتظار فترة من الوقت

علق الأب قائلا : الامر لله من بعد ومن قبل ، فلننتظر

## الفصل السادس

جلست نعايم تفكر فى حالها وما وصل إليه ، فلقد تركت مصباح لتقع فى يد جابر .. لقد كان مصباح مسالماً رغم دمامته ، وكان يحاول أن يرضيها بكل الطرق ، يخطب ودها ويعاملها بالمعروف ولم يسء إليها يوماً .. دمامته لا ذنب له فيها قلبه طيب وحتى عندما طلبت الطلاق أستجاب لها ولم تجد منه مقاومة لرغبتها .. إنها تعرف كل هذا لكن ماذا تفعل فى عواطفها التى لم تقبله زوجاً ؟ هى أيضاً لا ذنب لها ان عواطفها لم تتحرك تجاه مصباح بالايجاب وها هو جابر فى أول حياتها الزوجية يبدو فى صورته الحقيقية ، خبث وغلظة فى الطبع وغيره عمياء ، رغم ما يعلمه عن عفتها وطهارتها .. يكفى أنه عندما حاول مغازلتها - قبل زواجه منها - لم يجد منها استجابة ، وساءلت نفسها : أياكون هذا الذى وقعت فيه مع جابر هو ذنب مصباح ؟ قالت لنفسها . يارب انا لم ارتكب اثماً ولا ذنباً ، وأطعتك ولم أعصك .. انا لم اخطئ فى حق أحد تعبت من التفكير واسلمت امرها لله .

مرت عدة أيام اصطحب مصباح أحد أصدقائه وذهباً إلى  
البندر حيث اتفقا مع فرقة " الصفرتية "

وفى يوم الاتفاق حضرت الفرقة منذ الظهر - كما طلب  
ذلك منهم مصباح - وبدأت فى الصفير ودق الطبل أمام منزل  
مصباح وكان قد اشترى عاجلاً صغيراً وقام بذبحه واستأجر  
أحد الطهاة ليقوم باطعام الضيوف وكل عابر سبيل .. وكان  
يوماً لم تشهد له القرية مثله الا قليلاً .. الناس يأكلون وفرقة  
الصفرتية تعزف أمام المنزل والشباب والصبية يرقصون الى ان  
جاء وقت المغرب أضى منزل مصباح بالكلوبات , وكذا منزل  
والد سعدية ولما كان وقت صلاة العشاء ذهب مصباح فى معية  
بعض أصدقائه الى منزل والد سعدية , ويسحب خلفه حصاناً  
استأجره لتكريب عليه العروس عند ذهابها إلى داره بصحبة  
الطبل البلدى .. وما أن وصل مصباح إلى منزل سعدية وكانت  
جالسة على كرسى من الخشب تحوطها صاحباتها وهن يغنين  
ويزغردن . أمسك بيدها فقامت معه , واصطحبها خارجاً وسط  
هذا الخضم من الشباب والشابات , وأركبها الحصان , وسار بها  
ينتدمه الطبل البلدى والصفرتية , حتى وصل إلى منزله , فانزلها  
من على الحصان وادخلها داره , وأجلسها على كرسى من  
الخشب وسط الدار , وأحاطتها صاحباتها يصفقن ويغنين .. أما

هو فقد خرج ليرحب بزائريه ويوزع عليهم أكواب الشربات وقد امتلاً المكان عن اخره بالناس فقد سارع أهل القرية إلى الفرح حتى لو لم يكونوا مدعويين

ولما كان منزل مصباح مجاوراً لمنزل جابر ، فان نعائم سمعت كل هذا الضجيج . وأطلت من الطاقة ” وشاهدت مصباح وهو ممسك بلجام الحصان ، ثم يقوم بانزال سعدية وادخالها داره قالت لنفسها كان يجب ان أكون مع سعدية فى هذا اليوم فلطالما حملت همى ، ألا أشاركها فرحتها ؟ ولكنها لم تطلب من جابر ذلك خوفاً من بطشه وتساءلت أيضاً لماذا فعل مصباح كل هذا ؟ هل يكون نكاية فيها ؟ لا .. انها لا تعتقد هذا ، فان مصباح رغم ما حدث منها لا يمكن أن يكون شامتاً فيها .. إنها تعتقد أن ما فعله هو تعبير عن فرحته بسعدية ، ومحاولة إسعادها لرضائها به زوجاً لها . انتهت ليلة الدخلة وانصرف المدعون ، وخلا مصباح بسعدية ، قال لها :

- أرجو أن تكونى سعيدة ، فقد فعلت كل ذلك إرضاءك

- انا راضية يا مصباح

- أرجو الله ان يقدرنى على اسعادك

كانت القرية لا حديث لها إلا عن فرح مصباح , فلم تشهد القرية مثله إلا من أكابر البلدة وتحاكت الفتيات مبهورات بهذا الفرع

قالت احدهن :

- إن مصباح فعل كل ذلك ليسعد سعيدة , مكافأة لها على قبولها زوجة له .

وقالت أخرى :

- أنه يحاول أن يغطى على دمامته .

وقالت ثالثة :

- ولماذا لا يكون قد فعل هذا نكاية فى نعائم ؟

أما الرابعة فقالت :

- فى كل الأحوال ما أسعدك يا سعيدة

وقالت الأخيرة :

- ولماذا لا تقولين يا لسعدك يا مصباح , فقد تزوجت بسعيدة الجميلة , وأنت المسخ البشرى

\*\*\*

مر شهر ... اصطحب جابر نعائم إلى منزل والديها لزيارتها , غير أنه رفض الدخول وقال أنه سوف يعود بعد ساعتين .

تعانقت الأم والأبنة ، وقبلت نعيم يد أبيها ، وجلس  
الثلاثة فى شوق يحسه الأب والام تجاه ابنتهما ، والأبنة تجاه  
والديها . قالت الأم :

- كيف حالك يا ابنتى ؟

- الحمد لله على كل حال

- أيعاملك جابر بجفاء ؟

- هذا طبعه وعلى أن أقبله

هذا بينما الوالد صامت يسمع حوار الأم وابنتها وقد احس  
بالذنب تجاه ابنته . ثم قال

- كل شئ له نهاية يا ابنتى ، وعسى أن يتغير طبعه على مر الأيام

هنا انفجرت نعيم قائلة فى جرأة من الكبت الذى تعانيه :

- أية نهاية يا أبى ؟ هذا طبعه ولن يتغير إلى أن يموت و هل

يرضيك يا أبى ان اظل اعانى طيلة حياتى ؟ ما ذنبى أن

اقضى شبابى فى عذاب دائم

ثم سكتت فجأة . ساد الصمت الجميع برهة وكأنما كانت

تستريح بعد مجهود شاق . ثم اردفت قائلة :

- طالما هذا يرضيك يا أبى فأنا راضية .
- قال الاب فى لهجة شقاء ويأس :  
ابداً يا ابنتى لا يرضينى شقاؤك , لكن ماذا أفعل وقد أصبح  
جابر زوجاً لك .
- يفعل الله ما يشاء .
- سمعوا طرقةً على الباب , قال الأب :  
من الطارق :  
قال الطارق  
أنا محمود رجب
- قام صالح لملاقاته وجلسا سوياً على المصطبة . لم يكن  
محمود يعلم بوجود نعائم . قال صالح :  
اعدوا لنا كوبين من الشاى .
- قال محمود عندما وجده ينادى بصيغة الجمع :  
هل فى الدار أحد غير والدتى الحاجة ؟
- اجل انها نعائم جاءت تزورنا

أحس محمود بسعادة تغمره ، وشعر بريح نعايم تهب عليه .  
فتغمره بالنشوة ، وتمنى لو يراها حتى ولو لحظة واحدة ،  
او يكلمها حتى ولو كلمة واحدة .

اخرج محمود لفة من النقود ، وناولها صالح وهو يقول

- أبى يهديك السلام ويرسل إليك ثمن القمح

- ولماذا العجلة يا ولدى ؟

- إن الحقوق يجب أن تؤدى لأصحابها بسرعة .. استميحك اذنا

- لا ياولدى لابد لك ان تنال تحيتك

كان محمود - فى قرارة نفسه - لا يود الأنصراف ،  
فقد شم رائحة حبيبته ، ومنى نفسه بنظرة منها ، فجلس  
منتظراً فرصة لرؤياها ، وحتى لو لم يرها فيكفيه وجودها  
بالداخل ، وكأنه يحس برائحتها فيجد فى ذلك سعادة ونشوة  
أحست الأم - بغريزة الانثى - لهفة نعايم على رؤية  
محمود ، فأعدت الشاى وقالت لابنتها

- انهضى وقدمى الشاى لابيک

تناولت نعايم صينية الشاى من أمها ، وذهبت بها إلى المصطبة  
حيث يجلس ابوها وحبيبها ، وناولت الصينية لأبيها وهى تقول :

- سعدت مساء يا محمود .

رد محمود التحية عليها وقلبه يرقص طرباً , عادت نعايم إلى أمها وجلست بجوارها , تتلصص النظر إلى محمود , ومحمود يحاول اختلاس النظر إليها .

فجأة حضر جابر , فوجد محمود جالساً على المصطبة مع صالح , فانتابه الغيظ , وبدون أن يلقي التحية صاح

- هيا يا نعايم ..

قامت نعايم صاعدة للامر مودعة أمها بالعناق والدموع فى عينيها , بينما قالت الأم موجهة كلامها الى جابر .

- الوقت مازال مبكراً يا جابر , دعها بعض الوقت .

قال جابر

- كفى فأنا مشغول , هيا يا نعايم .

انصرفت نعايم مع زوجها الذى لم يفه بكلمة وداع . كانت تسير مع جابر فى ذل وانكسار وكأنها ذاهبة إلى السجن .

قال محمود لصالح

- مالذى أغضب جابر كل هذا الغضب يا عم صالح ؟

كان صالح يعرف السبب - وهو وجود محمود - لكنه قال

- لا اعرف يا بنى
- هلى حدث خلاف بينكما أو بينه وبين نعايم ؟
- كل شئ على ما يرام ولم يحدث شئ.
- ما أن دخل جابر منزله حتى صاح فى نعايم ..
- ما الذى جعل محمود يحضر طرفكم هذه الليلة ؟
- لا ادرى يا جابر فلعل بينه وبين أبى امور تتعلق بالعمل .
- اسمعى يا نعايم .. بعد الآن لن تذهبى إلى منزل والدك

قالت بذل

- لماذا يا جابر ؟ ماذا فعلت ؟
- هذا قرارى
- ولكن لم أفعل شيئاً يغضبك
- لا داعى للمناقشة , انتهى الامر .
- وكيف أرى والدى ؟
- يحضران اليك مرة كل شهر لمدة ساعتين

اسقط فى يدها ، فمعنى هذا انها ستظل حبيسة داخل منزل جابر . القت بنفسها على الفراش باكية فى صمت .. ولم يغمض لها جفن طوال الليل ، ولم يفارق خيالها طيف محمود ونظرات إليها رغم ما بها من حزن وغطى احساسها بنشوة نظرات محمود على حنقها وغضبها من جابر ، وما هى فيه من شقاء .

أما محمود فقد عاد الى منزله والقى بنفسه على فراشه وراح يستعيد نظرات نعيم له ، وعينيها الجميلتين ، وهما تنظران اليه خلسة وفى خفر ، ثم ترتدان مسرعتين . ولم يدر لماذا أحس بكل هذه النشوة رغم علمه ان نعيم متزوجة ولكنه رغم كل هذا أحس بأمل غريب يداعب خياله ... امل لا يدرى ما هو .

\*\*\*

فى الصباح سعدت سعيدة سطح الدار لبعض شئونها فوجدت جابر وكأنه كان ينتظرها .. القى عليها جابر تحية الصباح ، فما كان منها الا أن بصقت تجاهه ، وولت هابطة السطح .. كانت تكن لجابر كرها عميقاً ، فهو الذى سرق نعيم من محمود ، وحطم بذلك قلبين ينبضان بالحب وهاهو بكل صفاقة ، يحاول مغازلتها .

هبط جابر إلى اسفل الدار ، فوجد نعيم تقوم بشئون المنزل

. صاح فيها قائلاً :

- ” أعلم أنك وسعدية صديقتان حميمتان ولكن ذلك كان قبل زواجك منى والداران الان سطحهما متلاصقان , ولا يكاد يفصلهما شئ , وأنا الآن أحذرك .. , أياك أن تلتقى بسعدية اوتحدثيها

نظرت إليه نعائم فى ذل ويأس , ولم ترد بينما استطرد

- أنا غير مصباح , ولا بد لكلامى أن يطاع

تمتت نعائم :

- ليتك كنت مثله

قال جابر :

- ماذا تقولين ؟

- أجل سوف افعل أن شاء الله

\*\*\*

عندما عاد مصباح من عمله , قالت له سعدية بعد أن تناول طعامه وشرابه

- لى عندك رأى أود أن اقوله لك .

- سوف ينفذ فوراً يا سعدية , ما هو ؟

- أن دارنا ودار جابر الحلاق متلاصقتان , ولا يكاد يفصلهما شئ ,

وهذا لا يجوز , فأرجو يا مصباح أن تقيم جداراً فاصلاً بيننا وبينه .

- فعلاً لك كل الحق . من الغد سوف اكلف احد البنائين بإقامة جدار يفصل بيننا وبينه .

فعلاً كلف مصباح احد البنائين , الذى بنى جداراً فاصلاً بين منزله ومنزل جابر تعجبت نعيم من إقامة الجدار الفاصل بينهما وبين سعدية , وظلت تفكر . ما الذى دعا مصباح وسعدية إلى إقامة هذا الجدار؟ ايقنت أن سعدية هى التى طلبت من مصباح ذلك , ولكن لماذا؟ إنه من المؤكد أن جابر حاول مغاللتها فأرادت أن تسد عليه الطريق كما حاول قبلاً منها قبل أن تتزوجه .

ازداد كرهها لجابر , رغم إنها لم تتحدث معه فى إقامة الجدار خوفاً من بطشة . فهو لن يتورع عن ضربها كما كان يضرب مبروكة ولهذا آثرت أن تتجنب هياجه ..

مرت الأيام تمتزج فيها النشوة بالمعاناة, النشوة من طيف محمود الذى يلازمها , والمعاناة من جفاء جابر وغلظته ومحبسه الذى تعيش فيه .. طيف محمود الذى يراودها دائماً , وهو الذى يهون عليها ما تعانيه .

أخيراً وجدت نفسها تكاد تختنق ، وأنها لا تستطيع الاستمرار فى هذه المعاناة ، فقد أصبحت لا تطيق العيش مع جابر ، ولا بد أن تجد حلاً يجبر جابر على الطلاق ولكن ما هو هذا الحل ؟

كانت لا تجد من تشكو إليه أو يشاركها التفكير، كانت سعيدة هى ملجأها وملاذها ، وكانتا تتشاروان فيما يجب عمله ، أما الآن فهى وحيدة بعد أن اقام مصباح جداراً بين المنزلين ، أخيراً وجدت الحل ، قامت إلى حاجاتها وجعلتها فى صرة وأخفتها عن جابر ، حتى إذا ما كان الصباح ، انتهزت فرصة انشغاله فى تناول افطاره وهربت من المنزل قبل أن يفرغ من طعامه ، ويخرج ويغلق الباب دونها . بعد أن تناول جابر طعامه ، نادى على نعايم فلم يسمع إجابة فقام بالبحث عنها فلم يجدها ، ووجد باب الدرا مفتوحاً ، فأيقن أنها هربت إلى منزل والدها فهول مسرعاً إلى منزل صالح سارت نعايم إلى منزل والدها وهى تسرع الخطى ، وتتلفت خلفها خوفاً أن يلحق بها جابر قبل أن تدخل منزل أبيها ، وما أن وصلت باب المنزل حتى دقت الباب بشدة وتعجب أبوها وأمها من الطرق الشديد فهروا تجاه الباب وفتحاه ، فدخلت مسرعة والقت بالصرة على الأرض

. وارتمت فى حزن أمها وهى تبكى . قال أبوها جزعاً

- ماذا حدث يا ابنتى ؟

- لم يحدث شئ لقد هربت من السجن الذى وضعنى فيه جابر

- أضربك جابر ؟

- لا اعطيه الفرصة لضربى , فأنا ألبى له كل طلباته

قالت أمها :

- أهلاً بك يا ابنتى فى حبنى , ولن تعودى إليه ولو انطبقت

السما على الأرض , وليذهب جابر إلى الجحيم

علق الوالد :

- أجل يا ابنتى , كفى إلى هذا الحد .

سمعوا طرقةً شديداً على الباب . قال الأب :

- المؤكد أنه جابر

فتح الباب . دخل جابر هائجاً وصاح

- نعيم تركت الدار

- لاتقل تركت الدار ، بل قل هربت من السجن

- كيف يكون البيت سجنا وكل طلبتها مجابة ؟
- السجناء طلباتهم مجابة فهل يعنى هذا أنهم أحرار ؟
- اذهب وأمرها أن تعود للبيت
- دعها بعض الوقت لتستريح وتهدأ نفسا
- أن هذا ليس فى مصلحتها
- قلت لك أنها متعبة
- أنا لم أخطئ فى حقها ويجب أن تعود لمنزلها
- كفى الحاحا ودعها بعض الوقت
- زمجر جابر وانصرف وهو يقول
- سأتركها اليوم وأعود اليها غداً
- فى الغد حضر جابر ، وكان أهدأ نفسا ، فقد وجد أن الثورة لن تفيده وقد يخسر نعيم ، ولذا لجأ إلى الأسلوب الناعم قال جابر
- ياعم صالح أن البيت مظلم بدون نعيم وكيف أعيش بدونها ؟
- ياولدى قلت لك دعها بعض الوقت
- ليس لها غنى عنى يا عم صالح وليس لى غنى عنها

- أنها تعاني بعض المرض وراقدة فى الفراش
- دعنى أراها
- ليس الآن يا جابر فإن الخير أن تدعها الآن
- وماذا أفعل وأنا لا أطيق فراقها ؟
- فطن صالح إلى أسلوبه الناعم وإلى خبثه الذى عانى منه فقال له
- تجلد يا ولدى ، فالامر هين أن تدعها بعض الوقت لدينا
- من الممكن أن ترتاح عندى وألبى لها كل طلباتها
- أنها هنا فى رعاية أمها ، وعندما تتعافى سوف تعود إليك
- هدأ جابر وأنصرف ... بعد أنصرافه قالت الأم لزوجها
- لا يخذعك هذا الثعبان
- لقد فطنت إلى دهائه ولن يستطيع أن يخذعنى بعد ذلك
- حضرت سعيدة مسرعة بعد أن علمت أن نعيم فى منزل والدها وأحتضنتها وهى تكاد تبكى قالت سعيدة
- وماذا بعد وجودك فى منزل أبيك ؟
- لن أعود إليه مهما حاول
- وماذا بعد ؟

- سوف أطلب الطلاق

- وهل تظنين أنك سوف تنالين الطلاق فى يسر؟

- اعلم أنه عنيد وخبيث ، لكنى اتعشم فى الله خيراً

- لقد جاءتك الفرصة لتتخلصى من قيد هذا اللعين

- سوف لأدعها تغلت منى

- وهل أبوك راض عن الطلاق؟

- كل الرضا ، فقد عرف جابر على حقيقته

- أذن الله معكم

- لاتركينى ياسعدية وحدى

- سوف أكون معك دوما

- لاحرمنى الله منك

- أنت أختى يانعايم وتفاءلى خيراً فإن بعد العسر يسرا

- سوف نجد حلا لإنشاء الله

بعد عدة ايام لم يستطع جابر أن يدارى غضبه فقد تصور

أن اللين سوف يجعلهم يتمادون فى مراوغته لذلك قرر أن

يعود إلى طبيعته وأن يتصرف بجفاء ذهب إلى منزل صالح

وبمجرد أن فتح له الباب صاح قائلاً

- أين نعائم ؟
- إنها هنا فى الداخل
- نادها لتعود إلى بيتها
- لن تذهب معك إنها تريد أن تستريح بضعة أيام
- وما الذى أتعبها لدى ؟ إنها فى منزلها معززة مكرمة
- دعها بضعة أيام يا جابرحتى تهدأ نفساً
- وما الذى أتعب نفسها ؟
- هنا انبرت نعائم قائلة .
- أنت يا جابر الذى أتعبت نفسى ، وأقلقت راحتى
- كفى يا بنت الأصول
- من أفعالك ، هل أنت لا تدرى ماذا تفعل ؟ وماذا تقول ؟
- تعلمى الأدب ، هل أصبت بالجنون ؟
- لقد ربانى أبى فاحسن تربيتى
- حسناً ، مادمتى حسنة التربية هلمى إلى بيتك

- أنا لن أعود اليك اليوم أو غداً
- مامعنى هذا يا حبيبة الروح ؟
- معناه أن تطلقنى .
- اه .. لقد ظهرت حقيقتك , أنت لا تصلحى أن تكون سيدة منزل , ولكنى لست كمصباح
- إنك لا تساوى ظفره
- ولماذا طلقت منه ؟
- هذا ليس من شأنك
- لن أطلقك مهما حدث , وسأتركك معلقة كالبيت الوقف .
- لا يهمنى ذلك
- انطلق خارجاً وهو يرغى ويزبد بعد أن يئس من عودتها معه .

## الفصل السابع

مرت بضعة أيام كانت الام وزوجها وابنتها يتناقشون فيما يجب عمله تجاه جابر .. إن جابر بيده زمام الأمر , ولن تنال مأربها إلا إذا وافق جابر .. وجابر لن يوافق على ما تريده نعيم .

وأخيراً اتفقوا على أن يوسطوا أحد أقرباء جابر , لعله يرضخ لطلب نعيم , وفعلاً ذهب صالح إلى أحد أقرباء جابر , وطلب منه أن يقنع جابر بطلاق نعيم , وقد فعل الرجل إلا أن جابر رفض رفضاً تاماً هذا الطلب .

أصبحت الأم تحمل من الهموم ما يثقل كاهلها , كانت تشعر بالحسرة على ما أصاب ابنتها من سوء حظ , رغم جمالها , الذى تتمتع به , ووقوفها عاجزة عن أن تفعل شيئاً من أجل ابنتها

نهض الشيخ صالح من نومه , وذهب ليتوضأ ويصلى الصبح , ونهضت نعيم لتعد طعام الإفطار , ثم توجهت لتوقظ أمها فلم ترد عليها .. هزتها منادية فوجدتها شاخصة العين ولا تحرك ساكناً . صرخت : أمى أمى ”

حضر أبوها مسرعاً وهز زوجته فاذا بها جثة هامدة . لقد ماتت الأم فجأة .. كان الحزن الدفين على ابنتها وعجزها أن تفعل شيئاً , أصابا قلبها بما قضى عليها .

سرى خبر وفاتها فى القرية سريعاً .. وعندما علم مصباح قال لسعدية

- أتركى أى شئ واذهبى إلى نعايم ولازميها ولا تفارقها , فهى الآن فى أمس الحاجة إليك .

وهرول إلى منزل عمه ليكون بجانبه .. كذلك هرول جابر إلى منزل صالح فور سماعه نبأ وفاة حماته , وقد وجدها فرصة لتهدئة الأمور مع نعايم وليس للقيام بواجب العزاء كما أظهر .

اجتمع الرجال أمام منزل صالح , والنساء داخل المنزل , حيث قمن بما يجب نحو تجهيز المتوفاة للدفن , أما نعايم فقد كانت فاقدة الوعى وهى فى أحضان سعدية

جلس الرجال على حصير مفروش امام الدار , ووقف جابر ومصباح بجوار صالح يتقبلون العزاء , إلى أن ظهر نعش المتوفاة خارجاً من الدار محمولاً على الاكتاف .. سار الرجال بالنعش إلى مشواه الأخير فى مقابر القرية , بينما انهارت نعايم متهاوية فى حضن سعدية

وعندما أقبل المساء جاءت بعض سيدات القرية كل واحدة منهن تحمل على رأسها صينية عليها طعام ، وقدمن الطعام إلى الرجال الموجودين فى العزاء أمام منزل صالح يعد أن صلوا المغرب .

أن من عادة أهل القرية إذا مات أحدهم ، قام أهل القرية من أقارب المتوفى وأصحابه ومن يريد مشاركتهم بتجهيز صينية عليها طعام يكفى لعدة أشخاص ، حيث أن أهل المتوفى يكونون فى حالة لا تسمح لهم باعداد طعام .

جلست النساء بعيداً عن مكان العزاء ، حتى إذا ما فرغ الآكلون من طعامهم ، قامت النسوة واخذت كل واحدة منهن صينيتها وانصرفن من حيث أتين .

وقف مصباح وصالح وجابر يستقبلون من حضر العزاء ، وكان محمود يجلس بين المعزين يعصر قلبه الألم حزناً على نعيم وما هى فيه ، وما أصبحت عليه بعد وفاة أمها .

انتهت مراسم العزاء ، وأنصرف الجميع ، ولم يعد أحد بالدار قال جابر لصالح :

- هل تريد منى شيئاً يا عم صالح ؟

- لا يا بنى شكراً لك ،

وجه جابر كلامه إلى نعيم ، التي كانت تتشح بالسواد قائلاً :  
تجلدى يا نعيم ، ألهمك الله الصبر .

ثم أنصرف . شيعته بنظرات كلها كره ، وتمتمت قائلة  
قتلت أمى يا لعين . أما مصباح فقد أصر أن يبیت مع  
عمه ، وأن تبیت زوجته سعدية مع نعيم قائلاً لعمه :  
- هذا بيتى وهناك بيتى وسعدية لن تفارق نعيم حتى يقضى  
الله أمراً كان مفعولاً

ظل جابر يتردد على منزل صالح يومياً ، وقد وجد فى وفاة  
حماته فرصة ومبرراً لإصلاح ذات البين ، ولكن نعيم كانت  
تعامله بجفاء واقتضاب فى الحديث ، فقد كرهته أكثر من ذى  
قبل ، إذ وجدت فيه سبباً فى وفاة أمها كمدماً وحرزناً عليها .  
قال صالح لمصباح :

- يا ولدى عليك مباشرة الحقل لأنى أصبحت لا أقوى على  
العمل ، فقد زهدت نفسى الحياة .

- يا عمى كنت سأطلب منك ألا تشغل بالك بأى شئ وما  
عليك إلا أن تعيش يومك فى راحة وهدوء بال

ذات ليلة كان جابر حالساً مع حميه على المصطبة . وقال

- جابر موجهاً كلامه إلى نعايم
- أما آن الأوان أن تعودى الى منزلك ؟
- لم ترد نعايم . قال الاب :
- دعها يا بنى الآن , فليس هذا وقته
- ولكن نعايم قالت :
- لا يا أبى , يجب أن يعرف أنى لن أعود إليه , فليتركنى فى حالى وكفانى ما أنا فيه .
- قام جابر وهو يتمتم بكلام غير واضح , وأنصرف . انفردت سعدية بنعايم وقالت لها :
- واضح أن جابر لن يستجيب لك .
- فليذهب إلى جهنم , لقد كان سبباً فى وفاة أمى
- حاشى لله يا نعايم , إنها إرادة الله
- أن الله جعل لكل شئ سبباً , وجعله سبباً فى وفاة أمى
- ليس هذا هو المهم . ماذا تنوين عمله إذا لم يطلقك ؟
- سأنتظر حتى يقضى الله أمره

كانت نعايم تتنازعها الأفكار ، فها هي أمها قد ماتت ، وهي التي كانت تشعر في حضانها بالراحة والحنان ، وتنسى كل الأمها وها هو جابر ثقيل الظل يعيد محاولته لصلحها ، وهي له كارهة وقد أصبحت الآن وحيدة مع أبيها ، وسعدية تلازمها دائماً ، لتسرى عنها فقد أصبحت تكابد كره جابر وفراق محمود وموت امها وسعدية تقضى لها حاجة البيت ، وهي لا تعرف ماذا سيكون الأمر في الغد .. انسابت الدموع من عينيها ، واسلمت أمرها إلى الله .

بدأ محمود ايضاً يتردد على منزل صالح لمواساته ، والوقوف بجانبه ليساعده إذا لزمته المساعدة ، الأمر الذي جعل جابر يستشيط غضباً ، ويذهب في المساء لمنزل صالح ويقول له

- الآن أريد زوجتي ، لقد مضى وقت كاف على وفاة المرحومة

قال صالح :

- يا بني أن نعايم في حالة لا تسمح لها بالرجوع اليك .

صاحت نعايم

- قلت لك يا جابر لن أعود إليك .. لن أعود إليك

- الآن عرفت سر عنادك .. إنه محمود ابن الحاج رجب أليس

كذلك ؟

- إخرس ولا تتعد حدود الأدب
- وما سر تردده عليكم ؟
- مثل تردك علينا ، ومثل غيره من الناس .
- إذن خير لك أن تعودى إلى منزلك حتى لا يتحدث عنكما الناس بسوء .
- قلت لك لا تتعد حدود الأدب ، أما عن عودتى إليك . فأنى  
لن أعود إليك أبداً
- وأنا لن أطلقك ، لن أطلقك مهما طال عنادك
- خرج وهو يدب الأرض برجليه غضباً . كانت سعدية و  
زوجها مصباح حاضرين اللقاء ، وشاهدا حوار جابر مع زوجته  
وحميه ، ولم يتدخلوا . فقد فضلاً أن يتركا الأمور لنعايم وأبيها  
، وتجنباً لإثارة المشاكل مع جابر .
- قالت نعايم :
- اية صفاقة يتسم بها هذا الرجل ؟
- قالت سعدية
- إنه عديم الإحساس

وقال مصباح

- لم أر في حياتي إنساناً بهذه الصفاقة وبرودة الدم  
علق الاب في النهاية قائلاً :

- لقد خدعنا اللئيم

جلست سعيدة بجوار نعيم وقد وضعت يدها على كتفها  
في حنان ومواساة ، بينما جلس مصباح بجوار عمه الذي بدا  
مهموماً محطماً .

قال مصباح :

- لا تهتم يا عمى بكلام جابر ، فهو صفيق وفاقد التربية  
وماذا تنتظر من شخص مثل جابر

- لم أكن أتوقع أنه بهذه الصفاقة وبهذا الخبث .

- حدث ما حدث يا عمى ، وكل شئ في الحياة قسمة ونصيب  
.. فقط أرجو الا تعيره إهتماماً ولا تعطه أكثر من حجمه .

- انه يابنى يملك زمام إختك ، وسوف نجد صعوبة في الخلاص منه

- ان شاء الله سنجد حلاً .. هيا يا عم لتستريح وتنام .

قام صالح متثاقلاً ، وذهب إلى فراشه ونام . وكان مرقد

مصباح بجانبه حيث القى بنفسه على الفراش ونام أيضاً .  
فى الصباح الباكر , دبت الحركة فى البيت , فقد قامت  
سعدية ونعايم لتعدا طعام الإفطار , بينما نهض مصباح وعمه  
حيث توشاً وصلياً الصبح

بعد أن تناول الجميع طعام الإفطار قال مصباح لعمه :

- لا تجهد نفسك يا عم بأى عمل , فسوف أذهب أنا إلى  
الحقل وأرى ما يلزم عمله وسوف أعمله , أما أنت فما عليك  
إلا الجلوس مع أصدقائك
- بارك الله فيك يا ولدى

خرج مصباح متوجهاً إلى عمله بالحقل بينما قامت نعايم  
وسعدية بتجهيز طعام الغداء الذى سوف يرسلانه لمصباح  
فى الحقل . أما صالح فقد خرج للجلوس مع أصدقائه .  
كان الفلاحون الذين ليس لهم عمل , والمرضى منهم وكبار  
السن يجتمعون فى منطقة بشمال القرية تحت تعريشة من  
قوائم النخيل , مسقوفة بالبوص ومفروشة بالحصير , ويقوم على  
خدمتهم المعلم مبروك , حيث يحتسون الشاي وبعضهم يحكى  
القصص والذكريات , وبعضهم يتحدث فى أمور الحياة والدين  
, وآخرون يلعبون ” السيجة ” (وهى لعبة تشبه الشطرنج )

كان وجود سعدية مع نعايم عاملاً مهماً فى التسرية عنها ، فقد قال مصباح لها أن نعايم ليس لها أحد فى الدنيا سواهما ، كما أنها صديقة عمرها وبمثابة أختها ، ولما كان عمه لم ينجب سواها فإنه لزام عليها أن يعيشاً معاً ويكونان أسرة واحدة ، بل هم فى واقع الأمر أسرة واحدة ، وقد سألتها كيف يكون الحال لو لم يكوناً يعيشان معهما ، وكيف تعيش نعايم وحيدة وكيف حال عمه بعد فقد زوجته . وقد علقت سعدية على قول مصباح هذا قائلة :

- كم أنت وفى يا مصباح

قال مصباح :

- إن ما يملكه عمى لنعايم ويجب أن أحافظ عليه .

جلست سعدية أمام ” كانون ” وجلست نعايم أمام ” كانون ” آخر يعدان الطعام وهما يتحدثان . فجأة أحست نعايم بتقلصات فى بطنها وأنها تكاد تتقيأ ، وشكت بذلك لسعدية ، التى وجمت وقالت لها :

- إنها أعراض حمل يا نعايم

قالت نعايم منزعجة :

- حمل ؟ إنها مصيبة لو كان كلامك حقيقاً

- سوف أذهب إلى الحاجة ” ستوتة ” وآتى بها لتقل لنا الحقيقة .
- تركت سعيدة ما بيديها من عمل وذهبت إلى الحاجة ستوتة  
التي حضرت معها , واستمعت إلى نعيم , واخيراً قالت لها :
- أنت حامل يا نعيم

وقع الخبر على نعيم كالصاعقة . صاحت لنفسها .

يا ويلتى أأكون أما لطفل أبوه جابر ؟ أنا اتوق أن اكون  
أما مثل أى أم تسعد بحملها ووضعها وأمومتها , ولكن لا  
يكون جابر أباً لابنى .. ألهذا الحد يبلغ شقائى ؟ حتى  
سعادتى أن أكون أما لا يرى القدر لها أن تكتمل .. رحماك  
ربى .. إنى سعيدة بالحمل كأى أم , ولكنى شقية بابوة جابر  
لهذا الطفل القادم .. كم كنت اتمنى أن يكون محمود هو أبوه  
.. يالشقائى بدلاً من سعادتى .

علم جابر بالخبر , فأسرع إلى دار صالح وجلس معه على  
المصطبة . وقال له

- إن نعيم الآن حامل ويجب أن تعود لمنزلها
- قال الأب

- فى الحقيقة يا ابنى لا أعرف ماذا اقول لك

- قل لها أذهبي إلى بيتك

خرجت نعايم صائحة :

- لن أعود إليك .. أتفهم هذا ؟

- وابنى الذى تحمليه

- عندما ألدّه خذّه , فليست لى به حاجة

- هل هناك أم تلقى بابنها هكذا ؟

- إن كرهى لك يفوق عاطفة الأمومة

- ألاتخافين عليه ؟

- سوف تتم تربيته سواء أخذته أم تركته

- من يربيه سوى ؟

- أنا أربيّه

- رغم كل هذا لن أطلقك

ازدادت الأمور تعقيداً بعد أن أصبحت حاملاً , وكان يجب أن تستمر مع جابر حتى تربي وليدها القادم , ولكنها مع ذلك ازداد كرهها لجابر , وأصبحت تعتقد أنه بحملها هذا قد وضع قيداً فى عنقها لا فكاك منه .. ولكنها صممت رغم هذا على الطلاق من جابر وليكن ما يكون .. أما الوليد فإن أمره

متروك لله يفعل به ما يشاء

مرت شهور الحمل , ووضعت نعيم وليدها اسمته ” صابر  
” وسر جابر بالمولود , فقد أعطته نعيم المولود , الذى عجزت  
عنه مبروكة زوجته السابقة لكونها عاقراً .

ذهب جابر إلى صالح وجلس معه على المصطبة وقال له .

- أليس من الصواب أن تعود نعيم وإبنها لبيتها حتى ينشأ  
صابر فى منزل أبيه

صمت صالح ولم يرد .. بينما خرجت نعيم قائلة

- لن أعود .. لن أعود .. لن أعود .

- اليس من حقى أن أرى ابنى وأنعم به

- خذه لو أردت فأنا لن أعود معك

- ألهذا الحد تكرهينى ؟

- فوق ما تتصور

- وانا نكاية فيك لن آخذه , فسوف أتركه لك لتربيته , وعندما

يشب الطوق سوف آخذه وأنعم به وتحرمى أنت منه .

- ليكن ..

- قام جابر . وأنصرف

## الفصل الثامن

فى ضحى أحد الأيام ، كانت نعايم ، وسعدية يقومان بعمل المنزل ، حينما سمعتا جلبة وصراخاً أمام المنزل .. هرولتا نحو الباب تستطلعان الأمر فوجدتا بعض الرجال يحملون صالح ودخلوا به الدار ، وأرقدوه فى فراشه وغطوه ، وأخبروهما أنه كان يجلس بينهم ، وانكفاً فجأة على وجهه فاقد الحركة ، وعندما فحصوه وجدوا أن سر الإله قد فارقه . سقطت نعايم مغشياً عليها ، بينما التقطت سعدية الطفل منها قبل أن يقع على الأرض ، وأرسلت رسولاً إلى مصباح فى الحقل يطلب حضوره على عجل ، وعاد مصباح مسرعاً وعرف النبأ ، فجلس على الأرض يبكى كالطفل الصغير ، وقد التف حوله الرجال بواسونه . جاء جابر على عجل عندما علم بالنبأ ، وظل يلازم مصباح فى كل تصرفاته الى أن، تم تشيع الجثمان الى مثواه الأخير .

بعد إقامة المأتم وإنهاء المعزين أصبح مصباح وسعدية ونعايم وجابر فى الدار وحدهم . قال جابر :

- البقية فى حياتك يا نعايم

أشاحت بوجهها وأجهشت بالبكاء , وقامت حاضنة طفلها تاركة المكان , فما كان من جابر إلا أن انصرف .  
كان مصباح يجلس كل ليلة على المصطبة , يستقبل من يواسيه , وكان جابر دائم الحضور , إلا أن نعيم نبهت على مصباح ألا يدخل جابر الدار , وعزف مصباح عن الذهاب إلى السامر , مفضلاً البقاء مع زوجته وأبنة عمه عن الذهاب إلى السامر وما أن ينصرف الناس ولا يبقى مع مصباح سوى جابر , يتظاهر مصباح بأن النوم يداعبه , ويتشاءب ويقول لجابر :  
- شكراً يا جابر وتصبح على خير .

- كنت اريد ان اسأل نعيم إن كانت تريد شيئاً

- إنها لا تريد شيئاً , ولو أرادت سوف أبلغك

كانت نعيم دائمة الصراخ قائلة :

- قتل أمى , ثم قتل أبى , الدور القادم على أنا .. إنه غراب بين وبومة شؤم .

سعدية تحتضنها قائلة :

- أستغفر الله العظيم , انها الاعمار يا نعيم , وهى بيد الله

- أجل بيد الله , ولكنه السبب .. لا أريد أن ارى وجهه أو أسمع

صوته أو حتى مجرد اسمه .

- اهدئى يا حبيبتى فلن تريه .. إنظرى إلى طفلك فهو فى حاجة لك , والحزن ليس بمفيد على لبن الرضيع

مرت عدة أيام توهم جابر أن الأمور أصبحت أكثر ملاءمة أن تتخلى نعيم عن عنادها , بعد أن أصبحت وحيدة بفقد أبايها .. صحيح أن مصباح حل محل أبيها , ولكنه أولاً وأخيراً ابن عمها , والمرأة لا غنى لها عن زوج يؤنس عشتها .

فضل جابر هذه المرة أن يوسط أحد أكابر القرية فى الذهاب إلى مصباح ونعيم محاولاً إقناعها بالعودة إلى منزل زوجها . ذهب إلى الشيخ عبدالحكيم - خطيب الجمعة ومقيم شعائر مسجد القرية - ورجاه أن يكون رسوله .

ذهب الشيخ عبدالحكيم إلى مصباح وجلس معه على المصطبة . قال الشيخ .

- طلب منى جابر أن أتوسط بينكم وبينه فى الصلح , وهو مستعد لتلبية رغباتكم

- الأمر لا يخصنى . ولكنه يخص نعيم

- إذن نادها لنعرف رأيها

خرجت نعايم من الدار حاملة طفلها وهى تقول :

- لقد سمعتك يا سيدنا وشيخنا .. مجيئك يشرفنا ونحن نقدر لك خطواتك التى خطوتها حتى دارنا , ولكنى ومعذرة يا والدى لن أعود إلى جابر .

- إن له منك طفل ومن الأفضل تربيته بين أبويه

- الطفل سوف تتم تربيته سواء كان جابر موجوداً او غير موجود

- اليس الصلح خيراً ؟

- وهل يا سيدنا من الدين الإكراه فى العشرة ؟ إنى أكرهه ولا أطيقه

- ولماذا تزوجتيه ؟

- كانت رغبة أبى وقد ارغمت عليها . لم تكن لى فيها إرادة

- إذا كان ذلك كذلك فما هو الحل ؟ اتظان هكذا مفترقين ؟

- يجب أن يطلقنى

- وإذا رفض ؟

- يفعل الله بعد ذلك ما يشاء .

- الأمر لله يا ابنتى

- يؤسفنى يا سيدى الشيخ ألا البى طلبك وقد كان يسعدنى  
لوجئتنى فى أمر غير ذلك

- قبل أن انصرف ، ما الأمر بالنسبة للطفل ؟

- لقد قالها هو قبل ذلك

- ماذا قال ؟

- قال سأدع لك الطفل حتى يشب عن الطوق ثم يأخذه

انصرف الشيخ عبدالحكيم وذهب إلى جابر فى دكان الحلاقة  
وأبلغه بما دار بينهم من حديث ، فأطرق جابر رأسه قليلاً وقال :

- لقد اتعبتك يا سيدنا ، فلك شكرى ، وسوف أقوم أنا بحل المشكلة

- كيف يا ولدى ؟

- سوف أرى ما افعله .

جلس جابر يفكر ماذا يفعل ؟ إنه لو أخذ منها الطفل  
فلن يقره أحد على فعلته . ثم كيف يقوم بتربيته ؟ لن  
يستطيع فخير للطفل أن يبقى مع أمه حتى يكبر ثم ينزعه  
منها . كما أنها لن تستطيع الزواج طالما هى على ذمته  
، ولن يطلقها ويجب أن يتزوج بامرأة اخرى نكاية فيها .

وعلى هذا يجب ان يحاول مرة اخيرة للصلح فأن لم يكن

الصلح فليفعل ما انتواه .

ذهب جابر إلى منزل صالح ، فوجد مصباح جالساً على  
المصطبة، القى عليه تحية المساء ثم جلس بجواره وقال : .

- يجدر بنعائم ان تعود الى منزلها

- أرى أن الوقت غير مناسب يا جابر

- ان وجودها هنا لا لزوم له وبيتها أولى بها .

عندئذ خرجت نعائم هائجة فقد سمعت صوت جابر .  
صرخت قائلة وقد زادها كرهها لجابر جرأة :

- لماذا حضرت . وماذا تريد ؟

- ليس لك الآن سوى يا نعائم ، ويجب أن تعودى إلى منزلك

- إنصرف من هنا لا اريد أن ارى وجهك الكريه .

- سأخذك بالقوة

- اخرج والا قتلتك .. لن اتورع عن قتلك

- استطيع أن أضربك وآخذك عنوة

- فى هذه الحالة إما أن تموت أنت أو أموت أنا

- عودى إلى عقلك

- يبدو إنك فقدت الإحساس تماماً .. اذا لم تنصرف فسوف  
أحضر الفأس وأحطم بها رأسك
- لن يخيفنى تهديدك وسوف أريك ماذا سأفعل .  
تدخل مصباح لتهدئة الأمور . قائلاً
- كفى يا جابر واحترم مجلسى . أنصرف الآن وسوف نرى ما  
يجب علينا عمله
- قال جابر موجهها كلامه لمصباح .
- إنها زوجتى وليس لك حكم عليها
- انا ابن عمها وفى منزلة أخيها , وأصبحت ولى أمرها بعد  
وفاة عمى
- إنها مازالت فى عصمتى
- صرخت فيه نعايم بجرأة
- ألم أقل إنك صفيق وفاقد الإحساس .
- وتجنباً لما قد يحدث غادر جابر المكان وهو يتمتم : سوف  
أريك من هو جابر
- كانت القرية كلها تعرف أن نعايم لا ترغب العودة إلى جابر وإنها  
تلح فى طلب الطلاق وهو رافض ذهب إلى أحد فقراء القرية

وطلب منه ابنته ، وقد وافق الرجل وتم زواجه فى خلال اسبوعين  
عرفت بذلك نعيم ، فقالت لسعدية .

- الآن آن لى أن أستريح من جابر ، فقد يئس من عودتى إليه  
وهو بزواجه قد نفض يده منى

- يبدو هذا يا نعيم ، ولعله يكون خيراً

قالت نعيم ساحرة :

- وهل يأتى الخير من مثل هذا ؟

- أقصد انه قد يعطيك حريتك .

- سوف أرسل له فى طلب الطلاق

- ومن ترسله

- سأذهب الى الشيخ عبدالحكيم وأطلب منه ذلك

وفعلاً ذهبت إلى الشيخ عبدالحكيم وطلبت منه التوسط فى طلب

الطلاق من جابر . ذهب الشيخ عبدالحكيم الى جابر وقال له

- لقد تزوجت يا جابر ، فاعط نعيم حريتها

- ابدأ .. لا يا مولانا

- عاشروهن بالمعروف وفارقوهن بالمعروف

- وهل فعلت هي معروفاً ؟
  - أترضى أن تعيش معك وهي كارهة ؟
  - ولماذا تزوجتني لو لم تكن تريدني ؟
  - أنت تعلم والكل يعلم إنها أكرهت على هذا الزواج .
  - كان بإمكانها أن ترفض
  - لا تستطيع أنت تعرف أن الفتاة لا تعصى أباهها
  - مع ذلك لن اطلقها
  - وهل يرضيك أن تنعم انت بحريتك بينما هي مقيدة ؟
  - هي التي تريد ذلك فدعها في قيدها
  - يا بني هذا ليس صواباً
  - ولكنى اراه صواباً
- يئس الشيخ عبدالحكيم من اقتناع جابر , فتركه ,  
وذهب إلى نعيم وأخبرها بذلك . وجمت نعيم واکتأبت  
كانت نعيم جالسة مع مصباح وسعدية على المصطبة  
عندما حضر الشيخ عبدالحكيم .. ارتجفت نعيم وأخذت  
تهذى : قتل أمى ثم قتل أبى .. الآن يريد قتلى .. لا .. لا ..

أخذت سعدية الطفل منها وأعطته لمصباح وأحتضنت نعيم  
قائلة :

- اهدئى يا حبيبتى .. لكل شئى نهاية .

فجأة سكنت نعيم وظلت ساهمة واجمة . قالت لها سعدية :

- مالك يا نعيم ؟

لم ترد نعيم , ثم تغيرت ملامح وجهها وارتعش جسدها وظلت  
تصرخ وتهذى بكلام غير مفهوم . احتضنتها سعدية وهى تقول :

- مالك يا نعيم ؟ ماذا حدث لك ؟ ردى على .. اجيبينى

بينما أستمرت نعيم فى الصراخ والهذيان .. كانت سعدية  
تحتضنها ومصباح يربت على كتفها ولم يجد هذا شيئاً فى  
تهدئة نعيم

تجمع الجيران يستطلعون الأمر , فوجدوها تهذى بكلام غير  
مفهوم وتصرخ فى عصبية ثم تلعن جابر

لقد أصابها الجنون .. قادهها مصباح وسعدية إلى الداخل  
واغلقا الباب وظلا معها يهدئانها طول الليل , إلى أن أصبح  
الصبح وخلدت إلى النوم

عندما تتراكم الخطوب على العقل فليس أمامه سوى الجنون .

أعتاد أهل القرية أن يسمعو صراخ نعايم .. أحياناً هائجة  
واحياناً هادئة .. ولكن الكلمة الوحيدة التي كانوا يسمعونها  
بوضوح هي طلقنى يا مجرم .

علم محمود بما جرى لنعايم ، فظل يبكى حزناً على ما أصابها  
.. دخل عليه أبوه فوجده باكياً .. عرف ما يبكيه . قال له :

- انها فعلاً تستحق البكاء يا بنى . إن ما حدث لها كان كثيراً  
عليها وفوق طاقتها .

- ألم أقل لك يا أبى إنها عاشت مظلومة ؟

- أجل يا بنى .. سامح الله أباها

كان جابر فى دكانه مع زبائنه . قال أحدهم

- من الخير أن تطلق نعايم ، لعل فى هذا يكون شفاؤها

- انا لا اريدها أن تشفى اريدها هكذا مجنونة

قال أحد الزبائن :

- هل قلبك هذا من حجر ؟ أتسعد بشقائها ؟

قال الآخر

- ما الذى تستفيد منه جنونها . افعل حسنة واحدة فى حياتك  
ولا تجعل حياتك كلها سيئات .. ثم إنها الآن أصبحت  
عديمة الفائدة بالنسبة لك

قال جابر أخيراً: لقد نلت منها ما ربيتى ، وأشبعتم رغبتى  
ولقد صدقت .. إنها الآن أصبحت عديمة الفائدة ، بل وأصبحت  
عبئاً لا لزوم له ومن الخير أن يتخلص المرء منه .. أما بالنسبة  
للطفل فإن سعدية تعتنى به كل العناية كما لو كان ابنها .  
وفعلاً طلق جابر نعيم .. وعندما ابغوها الخبر ، ظلت  
ترقص وتصفق فى هستيرية ، الأمر الذى جعل سعدية تحضنتها  
وتطلب منها أن تكف عن فعلها هذا . وتدخل بها الدار  
وقد كان طلاق نعيم سبباً فى بعض هدوئها .. وعندما علم  
محمود بطلاقها سر سروراً كثيراً ، وكلما مر عليها تنساب  
الدموع من عينه حزناً عليها ، فرغم ما أصابها من جنون  
فان حبه لها لم يتغير .. وقد علمت البلدة كلها بحب محمود  
لنعائم رغم حالتها ، وأصبح ينال شفقتهم وإعجابهم به .  
جلست سعدية مع مصباح ونعيم على المصطبة أمام الدار  
، وكانت سعدية تحمل الطفل فى حجرها بينما نعيم شاردة  
، قالت سعدية لمصباح

- أريد ان افضى اليك بأمر قد يساعد فى شفاء نعيم

قال مصباح

- وتعلمين امراً فيه شفاء نعيم وتكتمينه ؟

- كنت ناسية ” الآن تذكرته , وهو سر اتمنتنى عليه نعيم ,

والآن لابد من البوح به

- قولى يا سعدية

- أن نعيم تحب محمود بن الحاج رجب

نظر إليها مصباح فى دهشة قائلاً

- منذ متى ؟

- من وقت طويل , ولكنه حب شريف وأنا شاهدة عليه , وانت

تعلم ان نعيم مؤدبة وشريفة وكذلك محمود مؤدب وشريف

لأنه ابن ناس طيبين

- أعلم هذا ولو كنت أعلم ما قلتيه ما كنت تزوجتها

- لقد حدث ما حدث

- وما علاقة ذلك بمرض نعيم ؟

- سوف اقول لك رأياً , والأمر فى النهاية لك .

- قولى يا سعدية

- اذا استطعنا أن نجمع بين نعايم ومحمود فإن ذلك قد يكون عاملاً مهماً فى شفاؤها .

أطرق مصباح قليلاً ثم قال

- الحق ما تقوليه , ولن أتوان عن أمر قد يكون فيه شفاء نعايم ولا أفعله

- انت انسان كريم ورائع يا مصباح

- دعك من هذا .. ولكن كيف نجمعهما ؟

- من الممكن أن تدعو محمود لتناول الشاى معك على المصطبة

ونجلس جميعاً معاً , ثم ندعهما يتكلمان مع بعضهما , فان كلام

نعايم مع محمود قد بعيد لها هدوءها , و قد يكون ايضاً عاملاً

على استعادتها لذاكرتها , وعودتها إلى ما كانت عليه طبيعتها

أطرق مصباح قليلاً ثم قال

- قد يكون كلامك صحيحاً وسوف أتدبر الامر

## الفصل التاسع

تعمد مصباح أن يمر على حقل محمود , فوجده يشدف بالشادوف ( الشادوف عبارة عن ساق طويلة من الخشب المتين تعمل على محور من طرفها السفلى الذى تثبت فيه كتلة من الحجر او الخرسانة والطرف الاخر يتدلى منه دلو كبير مربوط بحبل متين , فإذا جذب الفلاح الحبل لأسفل يرتفع الدلو لأعلى مملوء بالماء ليصب فى حوض يبدأ بقناة تخترق الأرض لترويهها )وقف مصباح وسلم على محمود وقال له محمود

- كيف حال نعائم ؟
- نحمد الله على كل شئ
- أتمنى من الله الشفاء لها
- حبذا لو شرفتنا اليوم لتشرب معى الشاى
- لك الشكر وان شاء الله سوف البى الدعوة
- اياك والخلف ستجدنى على المصطبة

- سوف أحضر إن شاء الله

كان محمود فى غاية السعادة , فقد وافته الفرصة التى كان يتمناها فقد تتيح له الظروف اللقاء بنعائم والتحدث إليها , ولم يكن يدرى ما يمكنه مصباح . فى المساء ذهب محمود إلى منزل نعائم ومعه قرطاسين من السكر وقرطاس من الشاي , فوجد مصباح جالساً على المصطبة مع سعدية ونعائم. ألقى عليهم تحية المساء ثم جلس معهم . قال مصباح

- أرجو ألا نحضر معك شيئاً بعد ذلك

تحدث معهم بود .. وجه كلامه إلى نعائم

- كيف حالك يا نعائم ؟

لم ترد عليه نعائم , فقال لها

- انا محمود يا نعائم .. الا تعرفينى ؟

حملقت فيه نعائم ثم قالت :

- لقد تذكرتك , أنت محمود

- الحمد لله

كانت سعدية ومصباح يتابعان حوارهما باهتمام شديد , وطلب مصباح من محمود ان يأتيهم كل ليلة ليتسامر معهم

بشرط ألا يحضر معه شيئاً الشاي والسكر وخلافهما . فهم محمود ما يرميان إليه وكان فى هذا سعادة بالغة له , إذ أنه سوف يشاهد نعيم ويجلس معها ويحادثها , بالإضافة إلى أنه سوف يساهم فى علاجها .

كانت سعيدة تعد الطعام فى معظم الأيام وتضعه فى ” المشنة ” وتحمله على رأسها وتذهب به إلى مصباح فى الحقل مصطحبة نعيم , والطفل على صدرها تسنده بيد والمشنة باليد الأخرى وعند العودة يلقاها محمود عند الصفاة وتترك لهما سعيدة حرية الكلام

قال محمود لنعيم :

- كيف حالك يا نعيم ؟
- الحمد .. لله
- تذكرى يا نعيم .. أنا محمود , حبيبك , وهذا عشنا الذى كنا نتقابل فيه وشهد ذكرياتنا .. تذكرى أرجوك يا نعيم
- نظرت اليه نعيم فى شرود ولم تتكلم . قال محمود
- انظرى إلى يا نعيم .
- ركز محمود نظراته فى عينيها وقال .

- انظرى إلى يا حبيبتي , فلطما نظرتى فى عينى  
لم تتكلم نعايم . قالت سعدية :
- كفى هذا اليوم , وهيا بنا حتى لا نتأخر .  
بدأت نعايم تهدأ فترات طويلة , لا تهتاج فيها ولا تصرخ .  
بدت صامتة وقتنا طويلاً ولا تتكلم وتظل شاردة . لاحظ الناس كثرة  
تردد محمود على مصباح والجلوس معه على المصطبة بصحبة  
نعايم وسعدية , وعندما علم جابر بما يفعله محمود قال بتهكم :  
- فليهنأ بالمجنونة لقد أصبحت كالجثة لا روح فيها  
اما والد محمود فقد قال له :
- يا بنى أن الناس يتحدثون عن جلوسك كل ليلة مع مصباح  
وزوجنه وابنة عمه , وأخشى أن يظن الناس بك الظنون
- أنا يا أبى اجلس على المصطبة مع مصباح وسعدية ونعايم  
ولست وحدى وامام الرائح والغادى .
- الناس لها الظاهر
- انت تعلم يا والدى مدى حبى لنعايم , ولا أسمح بما يمسها بسوء
- أعلم هذا يا ولدى , ولكن الناس السنتهم طويلة

- فليذهب الناس الى الجحيم , إن جلوسى مع نعايم وحديثى معها قد يعيد لها ذاكرتها .

- وهل يعرف الناس ذلك ؟

- لا يهمنى .. يكفى أن مصباح وسعدية هما اللذان طلبا منى ذلك .

- اتقول أن مصباح وسعدية هما اللذان طلبا منك ان تجلس معها وتحادثها ؟

- أجل يا والدى , وأنا اجلس معها , ومعهما وقد بدأت بالفعل تهدأ كثيراً وتستعيد بعض ماضيها

أشاع جابر أن نعايم تحب محمود , وأنه عندما تزوجها لم يكن يعرف ذلك , ولما منعها من الخروج من الدار لم تحتمل وهربت إلى منزل أبيها , وأن محمود هو السبب فى جنونها

قال له احد زبائنه عندما كان يحلق له شعره

- ما دمت تعرف ذلك فلماذا كنت مصراً على عدم طلاقها

- فى النهاية كنت سأطلقها , لكنى فقط كنت اريد أن أعلمها الأدب ما دام أبوها لم يقم بذلك , كما كنت اود أن اجعلها تعانى قليلاً .

- وماذا كنت تستفيد من معاناتها

- نوع من الأدب لها

علم محمود بما قاله جابر ، ففكر ملياً ، وقرر أن يضع حداً  
لظنون الناس وأكاذيب جابر . جلس مع أسرته وقال موجهاً  
كلامه لأبيه - وكان قبلاً قد طلب من أمه وأخيه مساندة

- يا أبى .. لى رجاء عندك وأرجو أن توافق عليه

- ما هو يا بنى ؟

- أن اتزوج نعايم

صاح فيه والده

- انتزوج مجنونة ؟

أجاب محمود :

- أجل يا أبى .. نعايم مريضة وليست مجنونة

- أن الجنون مرض .. كيف تتعامل معها ؟

- انا كافل بها وقادر على أن أسوسها .. أرجوك يا أبى وافق

- أخاف عليك منها

- إنها لم تؤذ أحداً ، فكيف تؤذيني ؟

- وماذا يقول الناس ؟ تزوج مجنونة

- فليقولوا ما يشاءون .. لا يهمنى قولهم .

- صدقنى إنها مريضة وقد يطول مرضها وقد لا تشفى
- صدقنى يا أبى إن ما أصابها من جنون كان بسبب ما عانته من مصباح وجابر ووفاة أمها وابيها .. إن كل ذلك لأمر يذهب بالعقل إلى الشتات .
- تدخلت أمه وأخوه , ورجيا الحاج رجب أن يوافق إرضاء لمحمود , وأخيراً وافق رجب أمام الحاج الجميع .
- فرح محمود , وذهب مسرعاً إلى مصباح وسعدية ونايم ووجدهم جالسين على المصطبة فى إنتظاره كعادتهم . جلس محمود قليلاً ثم وجه كلامه إلى نايم :
- اتزوجينى يا نايم ؟
- نظرت إليه فى شرود , وذهل مصباح وسعدية . قال محمود مؤكداً كلمة :
- لقد طلبت من أبى أن أخطبك وقد وافق , فهل توافقين ؟
- استردت بعض الوعى وقالت
- إنهم يقولون أنى مجنونة . فهل تتزج مجنونة ؟
- قالت سعدية لمصباح
- هيا بنا نبتعد عنهما حتى ندعهما يتحدثان بحرية , فإن

حديث محمود أصبح مهما ، وقد يكون علاجاً شافياً لها  
قال مصباح .

- الحق معك

وتركاهما .. إلى اخر المصطبة .. استطرد محمود

- أريدك كما انت .. أنت بالنسبة لى نعيم التى أحببتها وساطل  
أحبها ايا كانت حالتها .. أرجو أن توافقى .

ظلت نعيم شاردة الذهن .. استطرد محمود

- تذكرى يا نعيم عشنا تحت الصفصافة .. أنا أحبك ، وانت  
تحبيننى .. تذكرى يا نعيم .. تذكرى أرجوك .. انا محمود  
حبيبك وسوف أعوضك عما فاتك من فترات الشقاء

نظرت اليه نعيم ، وركزت نظراتها فى عينيه كما  
لو كانت تتذكر شيئاً من الماضى ، او شيئاً مما قاله ،

استطرد محمود

- سوف أخطبك من مصباح هل توافقين ؟

نظرت اليه نعيم قائلة :

- هل تريد أن تتزوجنى ؟

- أجل يا نعائم

- حسناً .. نتزوج

صاح محمود

- مصباح .. أقبلاً .. لقد وافقت نعائم

أقترب مصباح وسعدية . قال محمود لمصباح .

- هل توافق على زواجي من نعائم ؟

- أجل يا محمود .. أجل بارك الله لكما

انتهز مصباح الفرصة . وقال لنعائم

- مبروك يا نعائم .. محمود خطبك وأنا وافقت

اخيرا قالت نعائم .

- محمود خطبني

قالت سعدية

- أجل يا نعائم .. مبروك .. محمود سوف يعوضك عما فات

بدت السعادة على وجه نعائم، عاد محمود إلى والده

واخبره أنه طلب يد نعائم من مصباح. وقد وافق مصباح .

قال له والده

- وكيف حالها الآن ؟
- انها فرحت .. كل ما ارجوه منك يا أبى ان تبارك زواجنا
- يا بنى يهمنى سعادتك .. هل فكرت فى طريقة معيشتكما ؟
- الأمر أمرك يا أبى
- من الضرورى ان تكون قد فكرت
- أرى يا ابى - والأمر فى النهاية لك - إن نعيم هى صاحبة الدار والأرض . فاسمح لى أن أعيش معها فى دارها إلى ان يتم شفاؤها .
- ومصباح وسعدية ؟
- يذهبان إلى منزلهما
- وهل حدثتهما فى ذلك ؟
- سوف افعل
- والطفل ؟ هل فكرت فيه ؟
- سوف تأخذه سعدية لتربيته , فهى حالياً التى تقوم بتربيته حتى تسترد نعيم وعيها الكامل فتسترد طفلها
- وهل تعتقد ان جابر سوف يوافق على ذلك ؟
- إن جابر خبيث ولثيم , وهو يعلم أن زوجته لن تربي ابنه من

زوجته السابقة , فكيف يجلب لنفسه المشاكل , ولماذا يتعب  
فى تربيته بينما الغير يقوم بذلك نيابة عنه

- معك حق يا بنى

عندما اخبر محمود مصباح برأيه قال مصباح

- هذا حقك يا أختى , وسوف أذهب إلى دارى , أنا وسعدية ,

ولم نشأ أن نتركها وحيدة

- أنت أخوها وسعدية أختها .

- على بركة الله يا محمود وسوف تحضر اليها سعدية يومياً

لتعد لكما الطعام وشئون المنزل إلى أن تستطيع نعيم فعل ذلك

وحدها ودون الاستعانة بأحد .

- شكراً لك يا مصباح

حدد محمود ميعاد عقد القران . حضر المأذون وهو يبدى

اعتراضه قائلاً :

- انها فاقدة الإرادة ولا يصح لها الزواج

قال مصباح

- أنا وليها , وموافق على هذا الزواج

- يا بنى إنها فاقدة الإرادة

توسل محمود الى المأذون , وظل يرجوه ويستعطفه وقال له إن  
علاجها فى زواجها منه .. رق قلب المأذون لتوسلات محمود وقال

- سوف أسألها , فإن أجابت بالايجاب عقدت لك عليها

وسألها المأذون .

- هل تقبلين محمود رجب زوجاً لك ؟

صقفت نعايم بيديها مغنية

- الليله ليلة فرحى .. الليله ليلة فرحى

قال محمود معللاً

- ألم اقل لك يا سيدى إنها موافقة وفرحة

وخوفاً من ان يحدث منها شئ آخر جذبتها سعيدية إلى

الداخل قائلة : هيا لنقدم الشربات

اخيراً وافق المأذون على عقد القران , وشهد على العقد

مصباح وأحد اقارب محمود .

أعدت سعيدية طعاماً لنعايم ومحمود , وتعمدت أن تشرك

نعايم قى صنع الطعام والحديث معها عن الزواج وفرحته

وكانت تغنى لها وتصفق , مما جعل نعايم تبدو سعيدة وباسمة

كما أخبرتها أنها سوف تزورها يومياً لتقضى لها حاجتها

أصبحت نعايم زوجة لمحمود .. وأنصرف الجميع ماعدا محمود وأبيه وامه وقال مصباح

- هذه الدار هي دار نعايم , وسوف اتركها لك يا محمود وأذهب إلى داري ولك أن تقيم فيها مع زوجتك , هيا يا سعدية طبعت سعدية قبلة على خد نعايم واحتضنتها , ودعت لها بالشفاء والهناء مع محمود , وباركت لها الزواج أما مصباح فقد سلم عليها وبارك لها ثم توجه إلى محمود معانقا وقال
- لقد تركت نعايم أمانة لديك يا محمود وأنا واثق أنك جدير بحفظ الأمانة ورعايتها

قال محمود :

- تأكد يا مصباح وانت يا سعدية أن الله سوف يوفقني إلى هناء نعايم وادعوه ان يمنحني القدرة على تعويضها ما فاتها وما لاقتة .. كما اني متأكد أنها سوف تعود الى حالتها الطبيعية في اقرب وقت ان شاء الله

انصرف مصباح مع زوجته وهي حاملة الطفل متوجهان الى دارهما وانصرف الأب مع زوجته , أما محمود فقد أخذ بيد نعايم ودخل بها الدار

obeikandi.com

obeikandi.com

